صِيْغَةُ (اِسْتَفْعَلَ)
في شِعْرِ إِيْلِيَّا أَبِي مَاضِي
دِرَاسَةٌ صَرْفِيَّةٌ دِلَالِيَّةٌ

د/ بدور عبد المقصود أبو جنينة

مدرس العلوم اللغوية

قسم اللغة العربية - كلية الآداب

جامعة دمنهور

صِيْغَةُ (اِسْتَفْعَلَ) في شِعْرِ إيْلِيَّا أَبي مَاضِي دِرَاسَةٌ صَرْفِيَّةٌ دِلَالِيَّةٌ

بدور عبد المقصود أبو جنينة
مدرس العلوم اللغوية، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة دمنهور – مصر.
البريد الإلكتروني: bodor.abogenainah@art.dmu.edu.eg

ملخص: تُعَدُّ الصيغ الصرفية عند النحاة الأساس الذي يقوم عليه الدرس النحوي؛ لما تحمله مِنْ معانٍ صرفيَّة ومعجميَّة ودلاليَّة . وقد جاء هذا البحث ليتناولَ صيغة (اِسْتَفْعَلَ) في الأعمال الشِّعريَّة الكاملة، للشاعر المَهْجَرِيّ إيليا أبي ماضي؛ للكشف عن الدلالات المتعددة التي تحملها تلك الصيغة الصرفية، وبيان أكثر هذه الدلالات حضورًا في شعره، ومدى موافقة تلك الدلالات لما ذَكَرَهُ الصَّرْفِيُّونَ في كُتُبهم .

وقد تَبَيَّنَ من خلال هذه الدراسة أَنَّ شعر إيليا جاء مُوَافِقًا لقواعد اللغة وأحكامها في استخدامه لبناء (اِسْتَفْعَل)، وأَنَّ الدلالات الصرفية لصيغة (اِسْتَفْعَلَ) في الأعمال الشعريَّة الكاملة قد تَعَدَدتْ؛ إذ بلغت سبع دلالات، هي: الطلب، المبالغة، الإصابة على صفة أصله، مطاوعة أَفْعَلَ، الاتخاذ والجعل، الصيرورة، الإغناء عن المجرد. وأنَّ أبرز معاني (اِسْتَفْعَلَ) ورودًا في شعره، هو معنى الطلب؛ مِمَّا يؤكد ما ذهب إليه الصَّرْفِيُّونَ من أنَّ دلالة (اِسْتَفْعَلَ) على الطلب هي الأكثر. وقد وافقت دلالات (اِسْتَفْعَلَ) المُسْتَخلَصة من الأعمال الشِّعريَّة الكاملة ما ذَكَرَهُ الصَّرْفِيُّون القدماء من دلالاتٍ، ما عدا دلالة القوة والمبالغة؛ فهي من المعاني التي فرضتها السياقات المختلفة التي وردت فيها . كما انتهى البحث إلى أنَّ الأعمال الشِّعريَّة الكاملة تُعَدُّ مجالا ثريًّا لتطبيق فكرة تعدد المعاني الصرفيَّة للمبنى الواحد .

الكلمات المفتاحية:
صيغة استفعل – دلالات صرفية – إيليا أبو ماضي – شاعر المَهْجَر.

The form of Istafala اِسْتَفْعَلَ in Elia Abu Madi's Poetry
A Study of Morphology and Semantics

Bedour Abdul-Maksoud Abu Geneina
Senior Lecturer of Linguistics Arabic Department- Faculty of Arts Damanhour University.
Email: bodor.abogenainah@art.dmu.edu.eg

Abstract: Grammarians consider the morphological forms as the base of the syntactic study because of the different semantic, lexical and morphological meanings that they can denote. This is a study of the form of Istafala اِسْتَفْعَلَ in the book (The Full Poetic Works) containing the works of one of the lived-abroad peots, Elia Abu Madi, aiming to search the different meanings that this form denotes and to list a statistical lexicon of this form after searching the form in the recent and old books of morphology.

It turned out that Elia Abu Madi's poetry follows the Arabic language rules in his use of the form of Istafala and its semantics, and the meaning of Istafala most repeated in The Full Poetic Works Book is to make a request; this confirms what the morphologists say that the form of Istafala is mostly used to make a request. This study has also concluded that this book (The Full Poetic Works) is a fertile field to apply the idea of multi-morphological meanings of every form or mould.

Keywords: The form of Istafala, morphological meanings, Elia Abu Madi, living-abroad poets,

مُقَدِّمَة

تُعَدُّ الصيغ الصرفيّة عند النحاة الأساس الذي يقوم عليه الدرس النحوي، بوصفه بِنَاءً يحتاج إلى عناصر لتكوينه، وتلك العناصر ما هي إلا بنية الكلمة، وما تحمله من معنى صرفي مستفاد من صيغها وأوزانها، ومعنى معجمي مستفاد من جذرها اللغوي، ومعنى دلالي مستفاد من تركيبها وصلاتها في الجملة .

أهداف البحث :

- جاء هذا البحث المُعَنْوَن بـ(**صِيغَةُ (اِسْتَفْعَلَ) فِي شِعْرِ إِيلِيَّا أَبِي مَاضِي؛ دِرَاسَةٌ صَرْفِيَّةٌ دِلَالِيَّةٌ**)؛ ليَعْرِضَ صيغة من الصيغ العربية، وهي : صيغة (اِسْتَفْعَلَ)، ويحصر جُلَّ الأفعال التي وردت على هذه الصيغة، ويَتَتَبَّعُ مدى حضورها في شعر شاعر المَهْجَر الكبير إيليا أبي ماضي الذي يُعَدُّ شعره أحد ملامح التجديد في الشعر العربي الحديث.
- الكشف عن الدلالات المتعددة التي تحملها تلك الصيغة الصرفية في السياقات المختلفة في شعر إيليا .
- توثيق هذه الدلالات بإيراد الشواهد الشِّعريَّة التي تدلل على وجودها .

أسباب اختيار موضوع البحث :

إنَّ السبب في اختيار شعر إيليا؛ لتطبيق صيغة صرفيَّة قَعَّدَ لها الصرفيون العرب، يتمثل في الآتي :

- ما وُجِّهَ إلى مدرسة المَهْجَر تحديدًا من اتهامات بالتساهل اللغوي، ومحاولة البحث الكشف عن مدى موافقة شعر إيليا لقواعد اللغة وأحكامها، من خلال استخدامه لصيغة (استفعل) .
- تطرق شعر إيليا لموضوعاتٍ وأغراض عديدة، وخاصة ديوانَه (إيليا أبي ماضي؛ الجزء الثاني)؛ مِمَّا جعل شعره مجالًا خصبًا لدراسة صيغة (استفعل)، وبيان دلالاتها المختلفة .
- تناثر صيغة (استفعل) في شعر إيليا؛ فاحتاجت إلى دراسة تَجْمَعُ

شتاتها، وتُظْهِرُ أثر السياق الشعري في تحديد دلالات هذه الصيغة، ومدى موافقة تلك الدلالات لما ذَكَرَهُ الصرفيون في كُتُبِهم .

- قلة الدراسات اللغوية التطبيقية التي تناولت شعر إيليا بالدراسة .

أسئلة البحث :

يسعى البحث للإجابة عن عدد من التساؤلات منها :

- كيف أسهمت الزيادة في صيغة (اِسْتَفْعَلَ) في تعدد دلالاتها ؟
- ما الدلالات التي تحملها صيغة (اِسْتَفْعَلَ) في الأعمال الشِّعريَّة الكاملة لإيليا ؟
- هل جاءت تلك الدلالات موافقة لما ذكره الصرفيون واللغويون في كُتُبِهم ؟
- كيف أسهم السياق الشعري عند إيليا في تحديد معنى الزيادة في صيغة (اِسْتَفْعَلَ) ؟

الدراسات السابقة :

جُلُّ الدراسات التي تناولت صيغة (اِسْتَفْعَلَ) اِتَّخَذَتْ القرآن الكريم مجالا للتطبيق، واقتصر بعضها على دلالة واحدة من دلالات هذه الصيغة، ومن هذه الدراسات :

١. معاني (استفعل) في القرآن الكريم، د.ملاذ زليخة، كلية الآداب، جامعة دمشق، بحث منشور بمجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد(٨)، عدد (٢) لسنة ٢٠١١م.
٢. دلالة (استفعل) على المبالغة في القرآن الكريم، د.زهير محمد الأرناؤوطي، كلية التربية، جامعة بغداد، بحث منشور بمجلة الأستاذ، العدد(٢٠٠) لسنة ٢٠١٢م .
٣. صيغة (استفعل) في القرآن الكريم؛ استعمالا ودلالة، د. إبراهيم أبو غالية، كلية الآداب، جامعة القدس، مجلة أمارباك، تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، المجلد(٨)،

العدد(٢٤) لسنة ٢٠١٧م .

أما عن الدراسات التي تناولت شعر إيليا، فمعظمها دراسات أدبية ونقدية تدرس موضوعات شعره، ووزنه، وقافيته، وبعضها دراسات لغوية تركز على دراسة ديوان محدد، أو قصيدة بعينها، ومنها:

١. التفاؤل والتشاؤم في شعر إيليا أبي ماضي، رسالة ماجستير للباحث : حاتم محمد عبد الرحمن، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، سنة ٢٠٠٦م .
٢. المستويان التركيبي والدلالي في قصيدة الطلاسم لإيليا أبي ماضي، رسالة ماجستير للباحثة : بسمة ماضي، كلية الأدب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، سنة ٢٠١٤-٢٠١٥ م .
٣. البنية اللغوية في ديوان إيليا أبي ماضي، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر، سنة ٢٠١٥-٢٠١٦م .
٤. التقنيات الفنية في بناء الرمزية، قراءة في ديوان إيليا أبو ماضي، د. هدى بنت عبد الرحمن الدريس، كلية الآداب، جامعة الأميرة نوره بنت عبد الرحمن، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية، بالزقازيق، العدد(٣٦) لسنة ٢٠١٦م .

منهج البحث :

أما المنهج الذي اعتمده هذا البحث فهو المنهج الوصفي التحليلي، الذي يتناسب وطبيعة البحث القائم على التَتَبُّع والوصف والتحليل، فهو منهج يقوم على حَصْرِ الأفعال التي جاءت على بناء(اِسْتَفْعَلَ - يَسْتَفْعِل) في الأعمال الشِّعريَّة الكاملة لإيليا، ويُصَنَّفُهَا حسب دلالاتها الصرفية، مستعينا في ذلك بالسياق الشعري، ثم يتناول كل دلالةٍ بالدراسة على حِدَةٍ، مبينًا عدد مرات ورودها في شعر إيليا، وممثلاً لها ببعض الأفعال، مع بيان السياقات التي وردت فيها هذه الأفعال؛ للوصول إلى أكثر الدلالات استعمالاً في شعره .

خطة البحث :

اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمةٍ وتمهيدٍ وسبعةِ مطالبٍ وخاتمة، تقفوها قائمة بأهم المصادر والمراجع .

تناولت **المقدمة** تعريف موضوع البحث، والهدف منه، وأسباب اختيار الموضوع، وتساؤلات البحث، والدراسات السابقة، وبيان المنهج المتبع لإتمام خطوات البحث، وخطة البحث .

أما **التمهيد** فاشتمل على نُبْذَة عن الشاعر، ومُدَوَّنَته الشِّعريَّة، وألقى الضوء على صيغة (اِسْتَفْعَلَ) عند النحاة، ومعاني هذه الصيغة عند القدماء والمحدثين .

ثم يأتي **الجانب التطبيقي** في البحث، ويتناول الدلالات المتعددة لصيغة (اِسْتَفْعَلَ) التي زخرت بها الأعمال الشِّعريَّة الكاملة، وقُسِّمَ إلى سبعة مطالبٍ، وهي:

المطلب الأول : دلالة (اِسْتَفْعَلَ) على الطلب والاستدعاء في شعر إيليا .

المطلب الثاني : دلالة (اِسْتَفْعَلَ) على التَحَوُّل (الصيرورة) في شعر إيليا .

المطلب الثالث : دلالة (اِسْتَفْعَلَ) على الاتخاذ والجَعْل في شعر إيليا .

المطلب الرابع : دلالة (اِسْتَفْعَلَ) على الإصابة على صفة أصله في شعر إيليا .

المطلب الخامس : دلالة (اِسْتَفْعَلَ) على مطاوعة (أَفْعَلَ) في شعر إيليا .

المطلب السادس : مجيء (اِسْتَفْعَلَ) للإغناء عن المجرد في شعر إيليا .

المطلب السابع : دلالة (اِسْتَفْعَلَ) على المبالغة والقوة في شعر إيليا .

ثم جاءت **الخاتمة** مشتملة على أهم النتائج التي تَوَصَّلَ إليها البحث بعد الوقوف على صيغة (اِسْتَفْعَلَ) ودلالاتها في شعر إيليا أبي ماضي .

التمهيـــد

أولاً: نُبْذَة عن إيليا أبي ماضي:

يُعَدُّ إيليا ضاهر أبو ماضي الشاعر العربي اللبناني من كبار شعراء المَهْجَر في أمريكا الشمالية، في أوائل القرن العشرين، بل أبرز أعضاء الرابطة القلمية في نيويورك . وُلِدَ في قرية المحيدثة بلبنان عام ١٨٨٩م، ولم ينل من التعليم إلا القليل، ولما ضاقت به سُبُل العيش ترك قريته مُتَوَجِّهًا إلى مصر عام ١٩٠١م، وسكن الإسكندريّة . وفي سنة ١٩١١م أصدر ديوانه الأول (تذكار الماضي) في مصر، وهاجر عام ١٩١٢م إلى الولايات المتحدة؛ ليعمل بالتجارة . وفي عام ١٩١٦م انتقل إلى مدينة نيويورك؛ ليبدأ حياته الصحفية؛ وليحقق مجده الشعري العريض. وفي عام ١٩١٨م عُهِدَ إليه بتحرير جريدة (مرآة الغرب)، وفي عام ١٩٢٠م اشترك في تأسيس الرابطة القلميّة، التي أُنْشِئَتْ في نيويورك . وتوفي عام ١٩٥٧م، وهو ما زال في أوج نشاطه الصحفي والشعري[١].

ثانيًا : الأعمال الشِّعريَّة الكاملة لإيليا :

يُعَدُّ كتاب الأعمال الشِّعريَّة الكاملة لإيليا أبي ماضي موسوعة شعريَّة ضخمة، ضمت كلَّ أعمال إيليا الشِّعريَّة، إذْ اِحْتَوَتْ ثلاثمائة وخمسين قصيدة شعرية، موزعة على دواوينه الخمسة المعروفة، هذا فضلًا عن خمسة وستين نصًّا شعريًّا تحت عنوان :(ما لم تجمعه الدواوين)[٢] .

---

(١) ينظر : د.عيسى الناعوري : أدب المهجر، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٧٧م،ص ٣٦٢-٣٧٥، د.محمد عبد المنعم خفاجي :قصة الأدب المهجري ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٣م، ص ٥٠٤- ٥٢٤ ، خليل برهومي : إيليا أبو ماضي شاعر السؤال والجمال، سلسلة الأعلام من الأدباء والشعراء ج (٢٧)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط١، ١٩٩٣م .

(٢) إيليا أبو ماضي (الأعمال الشعريَّة الكاملة) ، جمع الشعر وقدَّم له : د.عبد الكريم الأشتر، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت ، ط١، ٢٠٠٨م .

وقد نشرتْ مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري هذا الكتاب؛ لإعادة إصدار شعر إيليا أبي ماضي بوصفه أحد أعلام النهضة الأدبية العربية في المَهْجَر، وَوُرُودِ اسمه ضمن (معجم البابطين لشعراء العربية، في القرنين التاسع عشر والعشرين) .

وقد رسمت تلك الدواوين الشِّعريَّة اتجاه إيليا الفلسفي والفكري، وعَبَّر من خلالها عن حبه، وشوقه لوطنه لبنان، وتَغَنَّى بجمال الطبيعة وسِحْرها، وهي :

- الديوان الأول: (تذكار الماضي)، الذي نُشِرَ في الإسكندرية عام١٩١١م، قبل هجرة إيليا إلى أمريكا، ويشتمل على أربع وخمسين قصيدة، تناولت موضوعات مختلفة، أبرزها الظُّلم، ومهاجمة الطُّغيان العثماني ضد بلاده، وهموم الغربة، وأوجاع الأحداث من حوله في الوطن الذي غادره (لبنان)، والوطن الذي يعيش فيه (مصر) . وقد اِتَّجَهَ في هذا الديوان نحو التقليد؛ حيث طغى صوت التراث الشعري بسماته الكبرى – جهارة الصياغة، وحسية الصورة، والكلف بالمبالغة – على صوت أبي ماضي الخاصّ[١] .
- الديوان الثاني : (إيليا أبو ماضي؛ الجزء الثاني)، طُبِعَ في مطبعة (مرآة الغرب) بنيويورك ١٩١٨م، وقَدَّمَ له جبران خليل جبران، ويضم تسعة وسبعين نصًّا شعريًّا، وكثير من قصائد هذا الديوان كُتِبَتْ في المرحلة الأولى من حياته في الإسكندرية، ولم يُتَحْ له نشرها لأسباب سياسية، وهذا ما يجعله يُسمِّي هذا الديوان باسم (الجزء الثاني)، كأنَّه لاحق بالجزء الأول (تذكار الماضي) . وتتصف جملة قصائد هذا الديوان بالنزوع إلى تقليد القُدَامى، والتمسك بالجزالة في الصياغة، وطغيان الحسية، هذا فضلًا عن التزام مذهبهم في الوصف والتصوير.

(١) إيليا أبو ماضي (الأعمال الشعرية الكاملة) ، ص ١٢،٣٤ .

ويشمل هذا الديوان شعر إيليا التأملي والوطني والقصصي[١].

• الديوان الثالث : (الجداول)، صَدَرَ في نيويورك عن مطبعة (مرآة الغرب) عام ١٩٢٧م، ويحتوي ست وثلاثين قصيدة شعريَّة، قَدَّمَهُ للقرَّاء الأديب مخائيل نعيمة، ومعظم قصائد هذا الديوان ذاتية وإنسانية، وقد بلغ إيليا غاية نضوجه الشعري في هذا الديوان، ولا سيما في قصيدته (فلسفة الحياة) [٢] .

• الديوان الرابع (الخمائل): طُبِعَ في مطابع جريدته السمير، في نيويورك ١٩٤٠م، ويشتمل على سبعة وخمسين نصًّا شعريًّا، ويُعَدُّ امتدادًا للجداول من حيث الأسلوب، والفكر، والموضوعات التأملية والإنسانية .

• الديوان الخامس:(تبر وتراب)، وقد نشرته دار العلم للملايين في بيروت، سنة ١٩٦٠م، بعد وفاته، وقد ضم هذا الديوان تسعة وخمسين نصًّا شعريًّا، أكثرها قِيلَ في مناسباتٍ محددة، وقصائده لها قيمة نفسية[٣] .

• ما لم تجمعه الدواوين : هي خمسة وستين نصًّا شعريًّا، بين طويل ومعتدل وقصير، جمعها د.جورج ديمتري سليم، من الصحف والمجلات العربية والمهجرية، في كتاب سماه : (إيليا أبو ماضي؛ دراسات عنه، وأشعاره المجهولة)؛ ليكمِّلَ تجربة أبي ماضي الإبداعية[٤] .

---

(١) ينظر : المصدر السابق : ص ١٦– ١٩ ، د.محمد عبد المنعم خفاجي : قصة الأدب المهجري، ص ٥٠٧ .

(٢)د.محمد عبد المنعم خفاجي : قصة الأدب المهجري : ص ٥٠٤، ٥٠٧ .

(٣) إيليا أبو ماضي (الأعمال الشعرية الكاملة) : ص ٢٤–٢٥ .

(٤) المصدر السابق : ص ٩٩٣ .

ثالثًا: صيغة (اِسْتَفْعَلَ) عند النحاة:

صيغة (اِسْتَفْعَلَ – يَسْتَفْعِلُ) من الصيغ المزيدة بـ(السين والتاء) على بنية الفعل، يقول سيبويه (ت١٨٠هـ):« وتُلحق السين أولاً والتاء بعدها، ثمَّ تسكن السين فتلزمها ألف الوصل في الابتداء، ويكون الحرف على(اِسْتَفْعَلَ – يَسْتَفْعِلُ) »[١]، وأضاف قائلًا: « ولا تلحق السين أولا في (اِسْتَفْعَلَ)، ولا التاء ثانية وقبلها زائدةٌ إلا في هذا» [٢].

أي أن صيغة (اِسْتَفْعَلَ) تأتي من الثلاثي (فَعَلَ)، بزيادة (السين والتاء)، أما الهمزة فهي زيادة صوتية؛ للتوصل إلى النطق بالساكن .

وصيغة (اِسْتَفْعَلَ) تأتي على ضربيْن : متعدية، وغير متعدية (لازمة)، فالمتعدية، نحو: استحسنَ الشيءَ، واسْتَقْبَحَهُ، واسْتَخفَّهُ، وغير المتعدية، نحو : اسْتَقْدَمَ، واسْتأْخَرَ، واسْتَحْجَرَ الطينُ . وتكون مبنية من فِعلٍ متعدٍ وغير متعدٍ، فالمبنية من فعل متعدٍ، نحو : استعلم مِنْ (عَلِمَ)، واستعصم مِنْ (عَصَمَ)، والمبنية مِنْ غير المتعدي، نحو: استحسن مِنْ (حَسُنَ)، واستقبح مِنْ (قَبُحَ)[٣].

معاني صيغة (اِسْتَفْعَلَ) عند القدماء والمحدثين :

تناول القُدماء صيغة (اِسْتَفْعَلَ) بشيء من التَّوسُّع والتفصيل، منذ سيبويه الذي أفرد لها بابًا في الكتاب[٤]، وذكر لها سبعة معانٍ، وقد تَبِعَ كثير من القدماء سيبويه في القول بتلك المعاني دون زيادة عليها، ومنهم[٥] : ابن

---

(١) الكتاب : تحقيق وشرح، عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ٢٨٣/٤.
(٢) المصدر السابق : ٤/ ٢٨٤.
(٣) ينظر: ابن يعيش، شرح الملوكي في التصريف، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ط١، ١٩٧٣م، ص٨٢، ابن عصفور: الممتع في التصريف، تحقيق : د. فخر الدين قباوة،دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٧م، ١٩٤.
(٤) باب (استفعلتُ) : ٤/ ٧٠–٧٥ .
(٥) ينظر على الترتيب : أدب الكاتب، تحقيق: محمد الدَّالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت ، ص٤٦٧ – ٤٦٩ ، الخَصَائِص : تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة=

قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، ابن جني (٣٩٢هـ)، ابن يعيش (٦٤٣هـ)، ابن عصفور (٦٦٩هـ) . وهذه المعاني السبعة هي :

١. الإصابة على صفة أصله :

تأتي صيغة (اِسْتَفْعَلَ) للإصابة، وللاعتقاد في الشيء أنه على صفة أصله، أي أنْ يجد الفاعل المفعول موصوفًا بصفة مشتقة من أصل ذلك الفعل، ومَثَّلَ سيبويه لهذا المعنى بقوله:« تقول: استَجَدْتُه: أي: أصبْتُه جيّدًا، واستكرمتُه، أي: أصبته كريمًا، واستعظمْتُه، أي: أصبتُه عظيمًا، واستَسْمنْتُهُ، أي: أصبته سمينًا»[(١)]، ومن هذا المعنى قولك: اسْتَخففتُه، واستْتَثْقَلتُه إذا وجدته كذلك. [(٢)]

وقد عدَّ ابن يعيش(ت٦٤٣هـ) الإصابة في صيغة (اِسْتَفْعَلَ) معنًى أصيلًا يُقَاسُ عليه، مثله مثل الطلب، فقال:« والغالب على هذا البناء أَنْ يكون للطلب أو للإصابة، وما عدا ذلك يُحفظ حفظًا ولا يقاس عليه».[(٣)]

٢. بمعنى أَفْعَل أو (موافقة أَفْعَل في المعنى):

ذهب بعض النحاة والصرفيين إلى موافقة صيغة (اِسْتَفْعَلَ) لصيغة (أَفْعَل) في المعنى؛ بحيث يمكن أن تنوب إحدى الصيغتيْن عن الأخرى، دون

=المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط٤، ١٩٩٩م ،١٥٥/٢-١٥٦ ، شرح الملوكي في التصريف : ص ٨٢-٨٤ ، الممتع في التصريف: ص ١٩٤-١٩٥. وقد ذَكَرَ ابن عصفور لصيغة (اِسْتَفْعَلَ) خمسة معانٍ ، وهي: الإصابة، الطلب ، التحوُّل، بمعنى تفعَّل ، بمعنى فَعَلَ ، وأهمل معنييْن من المعاني التي ذكرها سيبويه ، وهما: (اِسْتَفْعَلَ) بمعنى أفعل ،وبمعنى افتعل.

(١) الكتاب: ٧٠/٤، وعَبَّرَ الرَّضِيّ عن الإصابة بالاعتقاد، ينظر: الرَّضِيّ الاستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م، ١١١/١.

(٢) ابن قتيبة : أدب الكاتب ، ص٤٦٨.

(٣) ابن يعيش : شرح الملوكي في التصريف، ص٨٤.

أَنْ ينظروا إلى زيارة المبني في صيغة (اِسْتَفْعَلَ). قال سيبويه:« تقول: اسْتَخْلَف لأهلِه، كما تقول: أَخْلَفَ لأهله، المعنى واحد».(١)

واستخلف بمعنى طلب الماء، أي: اسْتَقَى(٢).

والتقارب في المعنى بين صيغة (اِسْتَفْعَلَ) وصيغة (أَفْعَل) جعل ابن عطية (ت٥٤٢هـ) يذهب إلى أن (اِسْتَفْعَلَ) تؤدي ما تؤديه أفعل؛ فَفَسَّرَ (استجاب) في قوله تعالى: ﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم**﴾ [آل عمران: ١٩٥] بأجاب فقال:« (استجاب):(اِسْتَفْعَلَ) بمعنى أجاب، فليس (اِسْتَفْعَلَ) على بابِهِ من طلب الشيء».(٣)

ومع ذلك فهناك من العلماء مَنْ رفض القول بهذه الموافقة بين الصيغتيْن في المعنى؛ لأنّ « زيادة المبنى تدلُّ على زيادة المعنى».(٤)

ومعروف أنَّ العرب لا تُزيد حرفًا إلا للدلالة على معنى زائدٍ لا يدل عليه الأصل.

وفَرَّقَ الرَّضِيّ (ت٦٨٦هـ) بين الفعلين: أَخْرَجَ واسْتَخْرَجَ، قال: « فقولك:(أَخْرَجْتُهُ) لا دليل فيه على أنك أَخْرَجْتُهُ مرة واحدة أو مع اجتهاد، بخلاف اِسْتَخْرَجَ » (٥) .

فالرَّضِيّ يشير بذلك إلى أنَّ زيادة المبنى في صيغة (اِسْتَفْعَلَ) تحمل زيادة في المعنى، فاستخرج: يدل على الاجتهاد والمشقة في إخراج الشيء، بخلاف (أخرج) التي توحي بخروج الشيء مرة واحدة دون عناء ومشقة.

---

(١) الكتاب ، ٧٠/٤.

(٢) ابن قتيبة: أدب الكاتب: ص٤٦٨.

(٣) ابن عطية : المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ٥٥٧/١.

(٤) الآلوسي : رُوحُ المَعَاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني :دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ،د.ت، ٢١/١٧.

(٥) شرح شافية ابن الحاجب : ١١٠/١ .

وتَلَمَّس الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) هذه الزيادة في معنى (اِسْتَفْعَلَ) حين عرض لمعنيين للاستجابة والإجابة، قال: « ونُقل عن الفَرَّاء أَنَّ الإجابة تُطْلَق على الجواب ولو بالرد، والاستجابة الجواب بحصول المراد؛ لأن زيادة السين تدل عليه إِذْ هو لطلب الجواب، والمطلوب ما يُوَافِق المُرَاد لا ما يخالفه».(١)

٣. الطلب والاستدعاء:

من أبرز معاني (اِسْتَفْعَلَ)، بل الغالب عليها، قال أبو علي الفارسي(ت٣٧٧هـ): « اعلم أَنَّ أصل(اِسْتَفْعَلْت الشيءَ) في معنى طلبْتُهُ واسْتَدْعَيْته، وهو الأكثر، وما خرج عن هذا فهو يُحْفَظ وليس بالباب» (٢).

وقد اعتمد مجمع اللغة العربية بالقاهرة على هذا الرأي، فأصدر قراره بقياسِيَّة صيغة (اِسْتَفْعَلَ)؛ لإفادة معنى الطلب. (٣)

والطلب إما صريح (حقيقي)، نحو: استعْطَيْتُ، أي: طلبتُ العَطِيَّة، واِسْتَعْتَبْتُه، أي: طلبتُ إليه العُتْبَى، واستفهمتُ، أي طلبتُ إليه أن يُفْهِمَنِي، واستكتبته، أي: طلبتُ منه الكتابة، أو طلب مقدر(مجازي)، نحو: استخرجت الوتد، فليس هنا طلب في الحقيقة (صريح)، كما في قولنا: استخرجت زيدًا، بل المعنى: لم أَزَلْ أتلطف وأجتهد في تحريكه حتى خرج، فنزل منزلة الطلب.(٤)

٤. بمعنى (افْتَعَلَ):

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ١٦٧/٤.

(٢) ابن سيده: المخصص، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ١٨٠/١٤، وينظر: ابن يعيش: شرح الملوكي في التصريف، ص٨٤.

(٣) العضيمي: القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة جمعًا ودراسة إلى نهاية الدورة الحادية والستين عام ١٩٩٥م، دار التدمريّة، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠٣م، ص٦٣٠.

(٤) ينظر: سيبويه، الكتاب، ٧٠/٤، ابن قتيبة: أدب الكاتب، ص٤٦٨، ابن عصفور: الممتع في التصريف، ص١٩٥، الرَّضِيّ: شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده، ١١٠/١.

أشار سيبويه إلى أن صيغة (اِسْتَفْعَلَ) ترادف صيغة (افْتَعَلَ) ممثلاً بمثال واحد؛ فقال:

« تقول: (استخرجتُهُ)، أي: لَمْ أَزَلْ أطلب إليه حتى خَرَجَ. وقد يقولون: (اخترجْتُهُ)، شبَّهوه بافتعلتُهُ وانتزعتُهُ».(١)

ومن أمثلة موافقة (اِسْتَفْعَلَ) لـ(افتعل): اسْتَعْصَمَ واعْتَصَمَ، واسْتَعْذَرَ واعْتَذَر، واسْتَرَاح وارْتَاحَ، واسْتَرَاب وارْتَابَ، واسْتَقَال واقْتَالَ. (٢)

وقد ذهب أبو حَيَّان الأندلسي(ت٧٤٥هـ) وهو يعرض قوله تعالى:(**وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ...**) [يوسف: ٣٢]، إلى أنّ استعصم موافق لاعتصم في معناه، وهذا أجود –عنده– مِنْ جَعْلِ(اِسْتَفْعَلَ) فيه للطلب؛ لأنَّ اعتصم يدل على وجود اعتصامه، وطلب العصمة لا يدل على حصولها.(٣)

في حين ذهب الزمخشري(ت٥٣٨هـ) إلى أن صيغة (اِسْتَفْعَلَ) تدل على المبالغة في الاجتهاد؛ للاستزادة من العصمة؛ فقال مُفَرِّقًا بين (استعصم) و(اعتصم): « الاستعصام: بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ، والتحفظ الشديد كأَنَّه في عِصْمَةٍ، وهو يجتهد في الاستزادة منها، ونَحْوُه: (اِسْتَمْسَكَ)، و(اِسْتَوْسَعَ الفَتْقُ)، و(اِسْتَجْمَعَ الرَّأْيَ)، و(اِسْتَفْحَلَ الخَطْبُ)».(٤)

وقد رفض أبو حَيَّان الأندلسي قول الزمخشري هذا محتجًا بأن

---

(١) الكتاب: ٤/٧٠.

(٢) ناظر الجيش: شرح التسهيل المسمى تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، تحقيق: أ.د. علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م، ٨/٣٧٦٥.

(٣) أبو حيَّان الأندلسي : تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م، ٥/٣٠٥.

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ٢/٢٥٤-٢٥٥.

الصَّرفِيِّينَ لم يَذْكُرُوا هذا المعنى لِاسْتَفْعَلَ.(١)

ولكن إذا دققنا النظر في الصيغتَيْنِ نجد أنَّه لا تعارض بين ما ذهب إليه الصَّرفِيُّون، وما صرح به الزمخشري؛ فقد حمل الصَّرْفِيّون صيغة (اِسْتَفْعَلَ) على معنى (افْتَعَلَ)؛ لما في صيغة (افتعل) من معنى القوة والمبالغة، إذا قُورِنَتْ بالثلاثي المجرد (فَعَل). ولكنَّ الزمخشري جعل المبالغة في (اِسْتَفْعَلَ) أشدَّ منها في (افتعل)، ويبدو أَنَّ هذا المعنى يناسب زيادة المبني في (اِسْتَفْعَلَ)؛ فلا ضير إذن أَنْ تُقَابَلَ زيادة البناء في (استعصم) بزيادةٍ في المعنى. والمبالغة في الامتناع التي أشار إليها الزمخشري، تُعَدُّ من زيادة المعنى التي لا نجدها في (اعتصم).

٥. بمعنى فَعَلَ (الثلاثي المجرد):

نحو: قَرَّ في المكان واسْتَقَرَّ، وعَلا قِرْنُهُ واسْتَعْلاَه، ومَرَّ واِسْتَمَرَّ، واسْتَسْخَرَ وسَخِرَ، واِسْتَهْزَأَ وهَزِئَ، أي: يجعلون الفعلين بمعنى واحد. (٢)

غير أن هناك من العلماء مَنْ فَرَّقَ بين الصيغتَيْنِ، فجعل الزيادة التي في صيغة (اِسْتَفْعَلَ) تدل على المبالغة، فذهب الزمخشري إلى أنَّ: « استعف أبلغ من (عَفَّ)، كأَنَّه يطلب زيادة العِفَّة من نفسه».(٣)

٦. التَحَوُّل من حالٍ إلى حالٍ (الصيرورة):

ومن ذلك قولهم: اسْتَنْوَق الجَمَلُ، إذا تخلَّق بأخلاق الناقة، واسْتَتْيَستِ الشّاةُ، إِذَا تشبَّهت بالتيس، واسْتَحْجَرَ الطِينُ، إذا تحوَّلَ إلى طبع الحجر في الصلابة. (٤)

---

(١) أبو حيَّان الأندلسي : تفسير البحر المحيط ، ٣٠٥/٥.

(٢) ينظر هذه الأمثلة في الكتاب: ٧٠/٤– ٧١، ابن قتيبة: أدب الكاتب، ص٤٦٨، ابن يعيش: شرح الملوكي في التصريف، ص٨٣–٨٤، ابن عصفور: الممتع في التصريف، ص١٩٥.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ٢٤٩/١.

(٤) ينظر: سيبويه : الكتاب ، ٧٠/٤، ابن يعيش: شرح الملوكي في التصريف: ص٨٣، ابن عصفور: الممتع في التصريف: ص١٩٥.

وقد قَسَّمَ الرَّضِيُّ التحوُّل إلى حقيقة ومجاز: فالحقيقة، نحو: اسْتَحْجَرَ الطينُ، أي : صار حَجَرًا بالفعل، والمجاز، أي: صار كالحجر في الصلابة، ومنه المثل:

إِنَّ البُغَاثَ بأرضِنَا يَسْتَنْسِرُ(١)

أي يصير كالنِّسر في القوة عند الصيد. (٢)

٧. بمعنى تَفَعَّلَ:

جعل بعض النحاة صيغة (اِسْتَفْعَلَ) بمعنى (تَفَعَّل)، نحو: استكبر أي: تكبَّرَ، واستعظم أي: تَعَظَّم، واستيقن أي: تَيَقَّنَ، واستثبتَ وتثَبَّتَ، واستنجز وتَنَجَّزَ. (٣)

ولكن بِنَاءً على قانون أَنَّ الزيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى؛ فإنَّ معنى صيغة (اِسْتَفْعَلَ) يختلف عن معنى صيغة (تَفَعَّلَ)، ورُبَّمَا تقارب الصيغَتَيْنِ في المعنى هو ما جعل بعض النحاة يَعدُّهما من باب واحد، دون النظر في زيادة المبنى.

وقد ذهب الرَّضِيُّ إلى أن الفعل (اِسْتَكْبَرَ) يدل على معنى الإصابة والاعتقاد، أي: اعتقد نَفْسَه كبيرًا، أو ظن ذلك، فقال: « (اِسْتَكْبَرَ) و(تَكَبَّرَ)، أي: اعتقد في نفسه أنها كبيرة».(٤)

وجاء في (التحرير والتنوير): « الاستكبار شدة الكِبْر، والسين والتاء فيه للعدِّ، أي: عَدَّ نفسه كبيرًا، مثل: استعظم، واستعذب الشراب، أو يكون

---

(١) هذا مثل من أمثال العرب، معناه: أن الضعيف يصير قويًا بأرضهم ؛ لاستعانته بهم .والبغاث فيه ثلاث لغات: الفتح، والضم، والكسر، وهو ضربٌ من الطير، ينظر: الميداني: مَجْمَع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٥م، ١٠/١.

(٢) ينظر: الرَّضِيّ: شرح شافية ابن الحاجب، ١١١/١.

(٣) ينظر: سيبويه :الكتاب، ٧٠/٤، وابن قتيبة: أدب الكاتب، ص٤٦٧– ٤٦٨، ابن يعيش: شرح الملوكي في التصريف، ص٨٣، ابن عصفور: الممتع في التصريف: ١٩٥/١.

(٤) شرح شافية ابن الحاجب : ١٠٦/١ .

السين والتاء للمبالغة، مثل: استجاب، واستقرَّ، فمعنى (استكبر) اتصف بالكِبْر ... والاستكبار: التزايد في الكِبْر؛ لأَنَّ السين والتاء فيه للمبالغة»[١].

وعلى هذا القول فالزيادة في (استكبر) للمبالغة في الكِبْر، ودلالة على ما يحمله شعور المستكبر من قوةٍ وتكلف، وهذا المعنى لا يُؤديه الفعل (تَكبَّر).

وتناول **ابن مالك**(ت٦٧٢هـ) معاني (استفعل) التي ذكرها سيبويه ومَنْ تَبِعَه، وزاد عليها أربعة معانٍ أخرى، فبلغت أحدَ عشرَ معنًى، والمعاني التي زادها ابن مالك، هي :

٨. الاتخاذ والجَعْل:

من أمثلة هذا المعنى: اسْتَلْأَمَ الرجل' أي: اتَّخذَ اللأَمة، وهي الدِّرع، أو جميع أدوات الحرب، ومنه: استأبَى أبًا، واستعبد عبدًا، واستأجر أجيرًا، واستشعر الرجل[٢]، أي: اتَّخَذ أبًا، واتَّخذ عبدًا، واتَّخذ أجيرًا، واستشعر أي: لبس شِعَارًا.

وقد أجاز مجمع اللغة العربية القياس على صيغة (اِسْتَفْعَلَ) للدلالة على الاتخاذ والجعل، مُعْتمدًا على الأمثلة الكثيرة التي دلت على معنى الاتخاذ والجعل في صيغة (اِسْتَفْعَلَ)، نحو: استعبد، واستأجر، واستفحل، واستعد، واستخلف، واستعمر. [٣]

---

(١) ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م ، ١/ ٤٢٤-٤٢٥ .

(٢) ابن مالك: شرح التسهيل، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م، ٤٥٨/٣، الرَّضِيّ: شرح شافية ابن الحاجب: ١١١/١، السيوطي: هَمْعُ الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ٢٦٩/٣.

(٣) ينظر: العضيمي: القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، جمعًا ودراسةً وتقويمًا، ص١٣٥.

٩. مطاوعة (أَفْعَل):

عَرَّفَ الرَّضِيُّ المطاوعة بقوله : « المطاوعة في اصطلاحهم التأثُّر، وقبول أثر الفعل، سواء كان التأثر متعديًا، نحو: عَلَّمْتُهُ الفقه فتعلَّمهُ، أي: قَبِلَ التعليم، فالتعليم تأثير، والتعلم تأثر، وقَبُول لذلك الأثر، وهو متعدٍّ كما ترى، أو كان لازمًا، نحو: كَسَرْتُه فانكسر، أي: تأثر بالكسر... فالمطاوع في الحقيقة هو المفعول به الذي صار فاعلاً، نحو: (باعَدْتُ زيدًا فتباعد) المطاوع هو زيد، لكنهم سَمَّوا فعله المسند إليه مطاوعًا مجازًا». (١)

وتأتي صيغة (اِسْتَفْعَلَ) لمطاوعة (أَفْعَلَ)، نحو: أَكَانَهُ فَاسْتَكَانَ، وأَشْلاَهُ فاسْتَشْلَى، وأَحْكَمَهُ فاسْتَحْكَمَ، وأَرَاحَه فاسْتَرَاحَ، وأضاءَهُ فاسْتَضَاء (٢).

١٠. الإغناء عن المجرد بصيغة (اِسْتَفْعَلَ):

أي أنَّ العرب اقتصرت على استعمال الفعل المزيد؛ لعدم ورود فعل ثلاثي مجرد له بمعناه، ومن أمثلة ذلك: اسْتَحْيَا، واسْتَأْثَرَ، واسْتَبْدَل، واسْتَعْبَرَ، واسْتَنْكَفَ. (٣)

١١. الإغناء عن (فَعَّل):

من أمثلة هذا المعنى: اسْتَرْجَعَ عن المصيبة، أي قال: (إنا لله وإنا إليه راجعون)، فالأصل فيه (رَجَّعَ)، ولكنه أغنى عنه، وكذلك قولهم: (اسْتَعَانَ)، أي: حَلَقَ عانَتَهُ، فأغنى عن (عَوَّن).(٤)

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب: ١٠٣/١.

(٢) ينظر: ابن مالك: شرح التسهيل ، ٤٥٨/٣، السيوطي: همع الهوامع، ٢٦٩/٣. والإشلاءُ: الدُّعاء، يقال: أَشْلَيْتُ الشاة والناقة إذا دَعَوْتُهما بأسمائهما لِتَحْلبَهُما، اللسان مادة (شلا) ، ابن منظور : لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت، مادة (شلا) ، ص ٢٣١٩ .

(٣) ابن مالك: شرح التسهيل، ٤٥٩/٣، وينظر: السيوطي : همع الهوامع، ٢٦٩/٣.

(٤) ينظر: ابن مالك : شرح التسهيل، ٤٥٩/٣، أبو الفدا: الكُناش في فني النحو والصرف، تحقيق: د. رياض بن حسن الخوّام، المكتبة العصرية، بيروت، ط ٢٠٠٤م، ٧١/٢، أبو حيَّان الأندلسي : تفسير البحر المحيط ، ١٤١/١.

تلك هي المعاني التي ذكرها النحاة والصرفيون– متقدمون ومتأخرون– لصيغة (اِسْتَفْعَلَ).

أما المحدثون فقد أوردوا ما ذَكَرَهُ القدماء من معانٍ لهذه الصيغة، ولم يضيفوا إليها شيئًا كثيرًا، فالحَمَلاويّ(ت١٣١٥هـ) أشار إلى أبرز هذه المعاني، وهي : الطلب، الصيرورة، اعتقاد صفة الشيء، اختصار حكاية الشيء، القوة، المصادفة' وقد ميَّز بين الطلب الحقيقي، مثل : (استغفرتُ اللهَ)، أي: طلبتُ مغفرته، والطلب المجازي، مثل: (استخرجتُ الذهبَ مِنَ المعدنِ)، أي: الاجتهاد في الحصول عليه طلبًا . وعَدَّ اعتقاد صفة الشيء معنى مختلفًا عن معنى المصادفة (التي هي الإصابة عند القدماء)، وعَبَّرَ عن الإغناء عن المجرد بـ(اختصار حكاية الشيء)، ومَثَّلَ له بمثالٍ واحد، وهو (استرجع) إذا قال: (إنا لله وإنا إليه راجعون)[١]. وزاد على معاني (اِسْتَفْعَلَ) التي ذكرها القدماء معنى (القوة)، ومَثَّلَ له: بالفعلين اِسْتُهْتِرَ واسْتَكْبَرَ، فقال: « أي: قَوِيَ هِتْرُه وكبره» [٢]. في حين اكتفى غيره بما ورد عند القدماء من معانٍ، كما فعل إبراهيم الشَّمسَان[٣] ، ونجاة الكُوفي [٤] .

وحقيقة الأمر أنَّ هذه المعاني كثيرة ومتنوعة، ورُبَّمَا خرجت عَمَّا ذَكَرَهُ النحاة القُدَامي والمحدثون، قال الرَّضِيُّ : « وقد يجِيءُ (أي: بناء اِسْتَفْعَلَ) لمعانٍ أُخَرَ غير مَضْبُوطَة »[٥] .

---

(١) شذَا العَرف في فنِّ الصرّف، قدَّم له وعلق عليه ، محمد بن عبد المعطي ، دار الكيان للطباعة والنشر ، الرياض ،د.ت ، ص ٨٣–٨٤ .

(٢) المرجع السابق : ص ٨٤ .

(٣) أبنية الفعل ، دلالاتها وعلاقاتها ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٧ م، ص ٤٧–٥١ .

(٤) أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٩ م ، ٦٣–٦٤ .

(٥) شرح شافية ابن الحاجب: ١/١١٢.

المطلب الأول

دلالة (اِسْتَفْعَلَ) على الطلب والاستدعاء في شعر إيليا

تأتي صيغة (اِسْتَفْعَلَ) لتدل على طلب الفعل والتماسه، نحو: (اِسْتَأْذَنَ)، أي: (طَلَبَ الإذْن)، و(اسْتَفْهَمَ)، أي: (طَلَبَ الفَهْم)، و(اِسْتَغْفَر)، أي: (طَلَبَ المَغْفِرَة)، وهذا المعنى هو الغالب عليها.

وقد ورد بناء (اِسْتَفْعَلَ) دالاً على الطلب في المجموعة الشِّعريَّة في اثنين وثمانين موضعًا، ضمت ثمانية وأربعين فعلاً.

ومن ذلك قول إيليا: (السريع)

فَاسْتَصْرَخُوا خَالِقَهُمْ وَاشْتَهَوا ** لَو أَنَّه كَوَّنَهُمْ ثَانِيَه[١]

الاسْتِصْرَاخُ في اللغة: الاستغاثةُ، والصُّراخُ صوت اسْتِغَاثتهم، يقال: اسْتُصْرِخَ الإنسانُ إذا أتاه الصارخُ، وهو المُصَوِّت يُعْلِمُهُ بأمر حادث ليستعين به عليه، أو يَنْعَى له ميتًا. واصْطَرَخَ القوم وتَصَارخُوا واسْتَصْرَخُوا: اسْتَغاثوا.[٢]

وقال ابن جِنِّي(ت٣٩٢هـ):« جعلوا (اِسْتَفْعَلَ) في أكثر الأمر للطلب، نحو: استسقى، واستطعم، واستوهب، واستمنح، واستقدم عمرًا، واستصرخ جعفرًا».[٣]

وجاء في (فتح القدير): « الاستصراخ: الاستغاثة، وهو من الصُّرَاخ، وذلك أن المستغيث يصوّت ويصرخ في طلب الغوث ».[٤]

وذهب الفَخْرُ الرَّازي (ت٦٠٤هـ) إلى أنَّ معنى يستصرخه : «يَطْلُبُ

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان الخمائل ، الأسطورة الأزلية، ص٨٣١.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة (صرخ)، ص٢٤٢٦.

(٣) الخصائص: ١٥٥/٢.

(٤) الشوكاني : فتح القدير الجامع بين فني الراوية والدراية من علم التفسير، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، ووضع فهارسه لجنة التحقيق والبحث العلمي، دار الوفاء، الإسكندرية ، ١٩٩٤م، ٢١٧/٤.

نُصْرَتَهُ بِصِياحٍ وصُرَاخ ».[١]

وكذلك في بيت إيليا السابق جاء بناء (اِسْتَفْعَلَ): (اسْتَصْرَخُوا)؛لإفادة معنى الطلب؛ فالناس في هذه الحكاية الخيالية- ضَجُّوا بالشكوى إلى الله، يطلبون منه أَنْ يغيثهم، وأن يعيد تكوينهم من جديد، وانتهى الأمر بتحقيق طلبهم، فنزل الله سبحانه على مشيئتهم، واستمع إلى شكواهم.

وقد استعمل إيليا الفعل (اِسْتَجْمَعَ) متعديًا بنفسه (استجمع الأنسابَ والأحسَابا)، وهو استعمال شائع في لغة المعاصرين، **حيث قال:** (الكامل)

دُنْيَا تَأَلَّقَ أَمْسُهَا فِي يَوْمِهَا ** فَاسْتَجْمَعَ الأَنْسَابَ والأَحْسَابَا[٢]

وقد أُعْتُرض على هذا الاستعمال « بأنَّ صيغة (استجمع) لم ترد في معجمات اللغة إلا لازمة؛ يقال: (اسْتَجْمَعَ السيلُ)، أي: تَجَمَّعَ من كل صوب، وقد درست اللجنة (مجمع اللغة العربية المصري) هذا ثُمَّ انتهت إلى أَنَّ اللفظ يمكن قَبُولَه على أساس أنَّ السين والتاء فيه للطلب المجازي أو التقديري، فكَأنَّ فلانًا يستدعي أفكاره- أو قُوَاه- لتجمع، وقد أثبت فريق من كِبَار النُّحَاة أنَّ الطلب يكون بهذا المعنى الذي تستند اللجنة إليه في توجيه اللفظ، كَما أنَّ دلالة السين والتاء على الطلب قياسيَّة في قرارات المجمع ».[٣]

وقد استعمل إيليا بناء (اِسْتَفْعَلَ) بهذا المعنى الذي انتهى إليه مجمع اللغة العربية، وهو الطلب المجازي، فكأنَّ الأمس عند تألقه في بلاد الشام، استدعى أنسابه وأحسابه لتُجمع، أي: طَلَبَ جَمْعَ أنسابه وأحسابه.

وهذا المعنى يتناسب والغرض من القصيدة، فهي من شعر المناسبات؛ حيث أُلقيتْ في جامعة دمشق ١٩٤٩م، في حفل التكريم الذي أقامته له

---

(١) تَفْسير الفَخْر الرَّازي (التفسير الكبير ومَفَاتيح الغَيْب)، دار الفكر، بيروت ، ط١، ١٩٨١م، ٢٣٦/٢٤.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان تبر وتراب ، تحية الشام ، ص٨٥٤.

(٣) مجمع اللغة العربية : القرارات المجمَعيّة في الألفاظ والأساليب، أعدها وراجعها: محمد شوقي أمين، إبراهيم الترزي، المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٩م، ص١٦٠.

الجامعة عند زيارته لسورية[١]. وفيها يَحِنُّ الشاعر إلى وطنه الأكبر – الشام– مفاخرًا بِمَا لها في سابق الدهر من صَوْلاتٍ وجَوْلاتٍ، مُسْتَدْعِيًا إياها .

ومن دلالة صيغة (اِسْتَفْعَلَ) على الطلب في شعر إيليا، **قوله:** (الرمل)

يَهَبُ المَرْءَ ومَا يَمْلُكُهُ ** وَعَلَى المَوْهُوبِ أَنْ يَسْتَغْفِرَه[٢]

فالفعل (يَسْتَغْفِرَه) يدل على طلب المغفرة؛ حيث يصف الشاعر حال هذا الملك الجائر المستبد، الذي يبذل كل ما ادخرته أمته، ولا يعتني بمملكته، ويضحي بشعبه وما يملكه في مقابل أن يُحْمَدَ من حاشيته، وأَنْ يطلبوا منه الغفران والصفح.

وقد جاء الفعل مسبوقًا بأنْ المصدرية (أَنْ يستغفره)؛ للدلالة على أنَّ طلب المغفرة والصفح منه سيكون في المستقبل.(فأنْ) المصدرية تقلب دلالة الفعل المضارع من الحال إلى الاستقبال [٣].

ومِمَّا يؤكد معنى الطلب –هنا– أنَّ الفعل غير موجود، ويسعى الملك الجائر إلى الحصول عليه .

ولا يكاد يختلف استعمال اللغويين والمفسرين لهذا الفعل، فقد جاء في (القاموس المحيط): « واسْتَغْفَرَهُ من ذنبه، واسْتَغْفَرَهُ إيّاهُ: طلب منه غَفْرَهُ ».[٤]

ويقول أبو حَيَّان الأندلسي في تفسير قوله تعالى : (**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ** ...) [هود: ١١٢]: « قيل: (اِسْتَفْعِلَ) هنا للطلب، أي: اطْلُبْ الإقامة على الدين، كما تقول: (استغفر)، أي: (اطْلُبْ الغُفْرَان) ».[٥]

---

(١) إيليا أبو ماضي : إيليا أبو ماضي (الأعمال الشعرية الكاملة) ، ص ٢٤ .

(٢) المصدر السابق : ديوان إيليا أبو ماضي ، الجزء الثاني ، الشاعر والأمة، ص٢٧٤.

(٣) د. مهدي المخزومي: في النحو العربي؛ نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م، ص١٣٤.

(٤) الفيروزآبادي: القاموس المحيط، تحقيق: أنس محمد الشامي، وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨م، مادة (غفر)، ص١١٩٥.

(٥) تفسير البحر المحيط: ٢٦٨/٥.

ومنه قوله : (الرمل)

مَا لِنَفْسِي لا تُبَالِي الطَّرَبَا ** أَيْنَ ذَاكَ الزَّهْوُ أَينَ الكَلَفُ؟

عَجَبًا مَاذَا دَهَاهَا عَجَبًا ** فَهِيَ لَا تَشْكُو ولا تَسْتَعْطِف ! (١)

فالفعل (استعطف) يدل على طلب العطف، وقد جاء في المعجم الوسيط: « اِسْتَعْطَفَهُ: سأله أن يَعْطِفَ عليه». (٢)

ولم يختلف استعمال إيليا لهذا الفعل عَمَّا جاء في اللغة؛ فـ(تستعطف) يدل على الطلب؛ فالشاعر وهو بصدد الحديث عن الظلام الذي خَيَّمَ على حياته وحياة أبناء بلده؛ بسبب انطفاء نور الحرية في بلده، يتعجب من نفسه متسائلاً، ما الذي دَهَاهَا؟ لِمَ لا تشكو ظُلْمًا، ولا تَطْلُب عَطْفًا مِنْ أحد؟ .

ومِمَّا سبق يتضح الآتي : أنَّ دلالة بناء (اِسْتَفْعَلَ) على الطلب، يُعَدُّ من المعاني الواضحة التي لا تحتاج إلى مزيد من التأمل لاستنباطها. وقد اتفق إيليا أبو ماضي في استعماله لهذه الدلالة مع ما ذَكَرَهُ اللغويون والنُّحاة، وما جاء في كُتُبهم.

هذا فضلاً عن أنَّ الحضور الطاغي لدلالة (اِسْتَفْعَلَ) على الطلب، في الأعمال الشعريَّة الكاملة لإيليا يؤكد ما ذهب إليه القدماء من أَنَّ دلالة الطلب هي الغالبة على هذه الصيغة.

استعمل إيليا الفعل (اِسْتَجْمَعَ) متعدِّيًا بنفسه في قوله : (اِسْتَجْمَعَ الأَنْسَابَ والأَحْسَابَا)، في حين لم تستعمله معاجم اللغة إلا لازمًا، وهو في ذلك يجاري استعمال المعاصرين، في جَعْل (السين والتاء) الزائدتيْن في الفعل للطلب المجازي .

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان إيليا أبو ماضي ،الجزء الثاني ، أمة تَفْنَى وأنتم تلعبون، ص٤١٧.

(٢) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤م، مادة (عطف)، ص٦٠٨.

المطلب الثاني

دلالة (اِسْتَفْعَلَ) على التَحَوُّل (الصيرورة) في شعر إيليا

وردت صيغة (اِسْتَفْعَلَ) دالة على التحوُّل والانتقال من حالٍ إلى حالٍ في الأعمال الشِّعريَّة الكاملة لإيليا في تسعة عشر موضعًا، تمثلت في ستة أفعال، ومن ذلك **قول إيليا**: (الكامل)

واِسْتَأْسَدُوا لَمَّا رَأَوا لَيْثَ الشَّرَى ** عَافَ الزَّئِيرَ وقَلَّمَ الأَظْفَارَا[١]

فالفعل (استأسد) يدل على التحوُّل والصيرورة؛ فقد جاء في لسان العرب: « وأَسِدَ الرجلُ: اسْتَأْسَدَ، صَارَ كالأسد في جَراءَتِه وأخلاقه... يقال: أَسِدَ واسْتأسَدَ إذا اجْتَرَأ ».[٢]

وورد في (المعجم الوسيط): « استأسد: تجرَّأ جرأة الأسد». [٣]

وقد استعمله إيليا دالًا على التحوُّل في بيته السابق، فالمحتلون (الإنجليز) صاروا كالأسود جُرْأةً وقوة؛ فنقضوا العهود، وتَعَمَّدوا الإيذاء، خاصةً لَمَّا تَكَاسل الشُّجعان عن صدهم؛ ومِمَّا يؤكد معنى التحوُّل في هذا الفعل تسميتهم بالذئاب الخاطفة؛ لأنهم ماهرون في خطف الأرض، وخطف الحرية من المصريين، هذا فضلا عن أنَّ إيليا يتنبأ في هذه القصيدة بثورة الجيش المصري، وتخليص مصر من أيدي الإنجليز .

ومن ذلك قوله (الرمل):

مَا اِسْتَحَالَ الهِرُّ لَيْثًا إِنَّمَا ** أُسُدُ الآجَامِ صَارَتْ هِرَرَه[٤]

« اِسْتَحَالَ الشيءُ: تحوَّل. واِسْتَحَالَ: اعوجّ بعد استواء.واِسْتَحَالَ:

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان تذكار الماضي، الذئاب الخاطفة،ص٢٠٣.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة (أسد)، ص٧٧.

(٣) مادة (أسد)، ص١٧.

(٤) الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان إيليا أبو ماضي ؛ الجزء الثاني ، الشاعر والأمة، ص٢٧٥.

تغيَّر. واِسْتَحَالَ الكلام: عُدِل به عن وجهه. واِسْتَحَالَ الشيءُ: صار محالاً».[١]

فالفعل (استحال) في الشطر الأول فعل ناقص بمعنى صار، يفيد الانتقال والتحوُّل من حال إلى حال، فالشاعر في هذا البيت ينفي تحوّل الهرُّ إلى أسدٍ، وإنما الأسود هي التي تحولت إلى هرره، ويؤكد هذا المعنى مجيئُه بالمرادف (صارت) في الشطر الثاني.

وهذا المعنى يتناسب والغرض من القصيدة (الشاعر والأمة)، وهو أنَّ الشعوب النائمة التي تَحَوَّل حالها من شجاعة الأسود إلى ضعف الهررة واستكانتها، لا بُدَّ مِنْ أَنْ يستبد بها الظالمون.

وقد جاء الفعل نفسه بصيغة المضارع **في قوله** : (الخفيف)

كُنْ غَدِيرًا يَسِيرُ فِي الأَرْضِ رَقْرَا ** قًّا فَيُسْقَى عَنْ جَانِبَيْهِ الحُقُولا
لا وِعَاءً يُقَيِّدُ المَاءَ حَتَّى ** تَسْتَحِيلَ المِيَاهُ فِيهِ وُحُولا[٢]

فالفعل (تَسْتَحِيلَ)– في البيت الثاني– بوزن (تَسْتَفْعِلَ)، يدل على التحوُّل والصيرورة؛ حيث إنَّ الشاعر يدعو الإنسان أَنْ يكون مصدرًا للجمال، فيكون مثل النهر الصافي الذي يسقي الحقول على جانبيه، فَيُحْيِي الأرض، ويُنبت فيها السعادة، ولا يكون مثل الإناء الذي يُحبس فيه الماء حَتَّى يتحول إلى ماءٍ راكد رديء يستحيل الانتفاع به.

ومعنى التَحَوُّل– هنا– يتناسب ومضمون القصيدة التي سمَّاها إيليا (فلسفة الحياة)، وحاول من خلالها تَغْيِير نظرة الإنسان إلى الوجود؛ وذلك بأنْ يُغْمض عينيْه عن مأساة الموت، ويتجاهلها، وبأنْ يتناسى سيف القدر المسلط، والإيمان بجدوى الحياة، ومعايشة الموت بوصفه وَجْهَ الحياةِ الآخر

(١) المعجم الوسيط : ص٢٠٩.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان إيليا أبي ماضي ؛ الجزء الثاني ، فلسفة الحياة، ص٢٥٨.

الذي تتم به دورتها . وبهذا يشيع التفاؤل، ويَتقبل الإنسان الحياة، ويتمتع بما في الطبيعة مِنْ صور الجمال؛ لِما يتميز به من الوعي والإدراك[١] .

ومن ذلك أيضًا قول الشاعر واصفًا شهر سبتمبر الذي يتزامن مع بداية فصل الخريف: (الكامل)

لا تَحْسَبِ الأَنْهَارَ مَاءً رَاقِصًا ** هَذِي أَغَانِيهِ اِسْتَحَالَتْ أَنْهُرَا[٢]

حيث جاء بناء (اِسْتَفْعَلَ):(استحالتْ)؛ ليدل على الصيرورة والتحوُّل من حالٍ إلى حالٍ، ويقصد الشاعر ذلك التَحَوُّل الذي يحدث مع فصل الخريف؛ فيبعثُ الجمال في الكون والنفس. حيث يخاطب الشاعر المتلقي محاولًا أن يُغيِّرَ نظرته للخريف، وإقناعه بجمال الطبيعة فيه، قائلاً: لا تظن أنَّ الأنهار الجارية ماءٌ متدفق راقص، إنما هي أغاني فصل الخريف قد تحولت إلى أنْهُر يراها الرائي؛ مِمَّا يدل على روعة هذا الفصل، وتجدُّد الحياة فيه.

ويستخدم إيليا دلالة التحوُّل –هنا– لِيُفْصِحَ عن عمق إحساسه بالطبيعة، وحبه واندماجه فيها، وفي وصف جمالها؛ حَتَّى ليكاد يكون ذلك أهم ما يميزه[٣] .

ومن الأفعال التي استخدمها إيليا– كذلك– لتدل على الصيرورة والتحوُّل الفعل (اسْتَرْخى) **كما في قوله** : (البسيط)

هَا أَنْتِ كَالحَقْلِ فِي نَزْعٍ وَحَشْرَجَةٍ ** وَهَتْ قُوَاكِ كَمَا اسْتَرْخَى جَنَاحَاكِ[٤]

يقول ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): « يقال أَرْخَت الناقة، إذا استرخى صَلاَهَا. وفرسٌ رِخْو، إذا كانت سهلة مسترسلة ... ويقال استرخى به الأمر

(١) المصدر السابق : ص ٣٨–٣٩ .
(٢) المصدر السابق ، ديوان تبر وتراب، أيلول الشاعر، ص٨٩١.
(٣) د. محمد عبد المنعم خفاجي : قصة الأدب المهجري ، ص ٣٠٩ .
(٤) الأعمال الشعريّة الكاملة ، ديوان الخمائل ، الفراشة المحتضَرة، ص٧١١.

واسترخت به حالُه، إذا وقع في حالٍ حسنة غير شديدة ».[١]

وجاء في (المعجم الوسيط): « (اسْتَرْخَى): صار رَخْوًا، وانبسط واتسع. والأمر: صار في رخاء بعد ضيق وشدة. والرجلُ: استلقى مُرْخِيًا عضلاته ».[٢]

ولم يختلف استعمال إيليا للفعل (استرخى) عَمَّا جاء في معاجم اللغة؛ فاستخدمه للدلالة على معنى التحول والصيرورة، ففي البيت موضع الشاهد يخاطب الشاعر تلك الفراشة التي دنا أجلها، قائلًا: لقد خَارَتْ قُوَاكِ، وتَحَوَّل جناحاك من القوة والشدة إلى شيءٍ رَخْو ضعيف، حَتَّى لم يعد بإمكانهما مساعدتك؛ فأصبحتِ جدباء مثل حقلك بعد أنْ وَلَّى الربيع.

ولاشك أنَّ معنى التحوُّل في صيغة (اِسْتَفْعَلَ) جاء مناسبًا لمضمون القصيدة؛ فالشاعر يصف فراشة تحتضر أيام الخريف بعدما كانت تزدهي بألوانها أيام الصيف والربيع[٣] .

ويتضح مِمَّا سبق أنَّ : إيليا جَارَى القدماء في استخدام بناء (اِسْتَفْعَلَ) للدلالة على التحوُّل من حالٍ إلى حالٍ (الصيرورة)؛ وجاءت أمثلته تُدَعِّمُ قِسْمَي التحوُّل، وهما: التحوُّل الحقيقي، والمجازيّ . فمن أمثلة التحوُّل الحقيقي في الأعمال الشِّعريَّة الكاملة الفعل : (اِسْتَرْخَى)، أي: صار رَخْوًا، والفعل: (تستحيل)، أي تتحول المياه الصافية إلى مياه راكدة . أما التحوُّل المجازي، فنحو الفعل (اِسْتَأْسَدُوا)، أي: صاروا كالأسود جرأةً وقوةً، والفعل:(ما اِسْتَحَال)، أي: ما صار الهرُّ كالليث شجاعةً .

(١) معجم مقاييس اللغة: تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، د.ت، ٥٠١/٢.

(٢) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، ص٣٣٦.

(٣) خليل برهومي : إيليا أبو ماضي شاعر السؤال والجمال ، ص ٦٦ .

المطلب الثالث

دلالة (اِسْتَفْعَلَ) على الاتخاذ والجَعْل في شعر إيليا

وردت صيغة (اِسْتَفْعَلَ) لتدل على الاتخاذ والجَعْل في شعر إيليا في ثمانية مواضع، استخدم الشاعر فيها سبعة أفعال مختلفة، ومن هذه الأفعال (اِسْتَوْزَرَ)، كما في قوله: (الرمل)

كُلَّمَا جَاءَ إِلَيهِ خَائِنٌ ** وَاشِيًا قَرَّبَهُ وَاسْتَوْزَرَهُ[١]

والفعل(اسْتَوْزَرَ) بصيغة (اِسْتَفْعَلَ) يدل على الاتخاذ والجَعْل، كما جاء في (المعجم الوسيط) : « اِسْتَوْزَرَهُ: جعله له وزيرًا ».[٢]

وهذا هو المعنى الذي يقصده إيليا؛ حيث يتحدث عن ذلك الملك الجائر الذي يشكو شعبُه جُوْرَه وبغيه؛ فهو دائمًا يستعين بالطُّغَاة، وكلما جاءه خائن كاذب قَرَّبَهُ منه، واتخذه وزيرًا له .

ومن الأفعال التي استخدمها إيليا لتعطي دلالة الاتخاذ والجَعْل، الفعل: (اِسْتَوْطَنَ)، **كما في قوله** : (مجزوء الرمل)

أَيُّهَا الشَّاكِي اللَّيَالِي إِنَّمَا الغِبْطَةُ فِكْرَهْ

رُبَّمَا اِسْتَوْطَنَتِ الكَوخَ، وَمَا فِي الكُوخ كِسْرَهْ[٣]

« استوطن فلانٌ المكان: أقام في بلد غريب واتخذه وطنًا له».[٤]

ففي هذا البيت يخاطب الشاعر الإنسان اليائس الذي يشكو الزمان قائلًا: إنَّ السعادة مجرد فكرة وإحساس يصنعه المرء بداخله، وليس لها علاقة

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان إيليا أبو ماضي ؛ الجزء الثاني ، الشاعر والأمة، ص٢٧٤.

(٢) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط، مادة (وزر)، ص١٠٢٨.

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان الخمائل، الغبطة فكرة، ص٧٩٤.

(٤) د. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م، ص٢٤٦١-٢٤٦٢.

بما يمتلكه في الحياة، فَرُبَّمَا اِتَّخَذَتْ هذه السعادة الكُوخ البسيط الفقير الذي ليس به شيء موطنًا لها، وفارقتْ القصور الشامخة. هذه فلسفة إيليا في الحياة، فالسعادة كامنة في أبسط الأشياء، ولا بُدَّ للإنسان من أَنْ يدركها بعقله .يقول د. محمد خفاجي : « ولذلك فهو يكثر من إدخال هذا المعنى، معنى الغِبْطَة، الناتجة مِنْ مهمة العقل، المُعْرِض عن الشكاية والتشاؤم، تلك الغبطة الخَلَّاقة التي تُهَيِّئ السعادة تهيئة عجيبة؛ فيوصيك بها لتكون كافلة هناءتك»(١).

ومن ذلك الفعل (اِسْتَعْبَدَ) الذي ورد في **قول إيليا**: (السريع)

وَقَالَ ذُو الثَّرْوَةِ: مَا أَشْتَهِي ** لا أَشْتَهِي أَنِّي ذُو ثَرْوَةِ
أَنْفَقْتُ أَيَّامِي عَلَى جَمْعِهَا ** وَخِلْتُنِي أَدْرَكْتُ أُمْنِيَّتِي
فَاسْتَعْبَدَتْنِي فِي زَمَانِ الصِّبَا ** وَأَوقَرَتْ بِالهَمِّ شَيْخُوخَتِي(٢)

قال ابن فارس: « استعبدتُ فلانًا: اِتَّخَذْتُهُ عبدًا».(٣)

وهذه الدلالة على الاتخاذ والجَعْل واضحة في بيت إيليا؛ فهذا الرجل الغني صاحب الثروة يشكو حاله إلى الله سبحانه وتعالى، فإِنَّ تلك الثروة اِتَّخَذَتْهُ عبدًا لها في زمان الشباب؛ فما كان حرًّا، وأثقلت كاهله بالهمِّ في زمن الشيخوخة .

ومعنى الجَعْل–هنا– يتناسب ودَوْرَ الغني الذي جاء الكلام على لسانه؛ ليعلن سخطه من المال الذي اتخذه عبدًا .

ومثل هذا الفعل في الدلالة، الفعل (اسْتَرَقّ) **في قول إيليا** :(الطويل)

وَذَمَّ إِلَيَّ الرِّقَ ثُمَّ اِسْتَرَقَّنِي ** وَصَوَّرَ، ظُلْمًا فِيهِ، تَمْجِيدَهُ عَدْلاً(٤)

(١) قصة الأدب المهجري : ص ٥١١ .
(٢) الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان الخمائل، الأسطورة الأزلية، ص٨٣٨–٨٣٩.
(٣) معجم مقاييس اللغة، مادة (عبد)، ٢٠٦/٤.
(٤) الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان الخمائل، كتابي، ص٧٢٧.

وذكر د. أحمد مختار عمر أنَّ: « استرقّ فلانًا: ملَكه، اتخذه عبدًا. استرقّ الحُرّ: استعبده، عامله معاملة العبد ». (١)

والفعل (استرقّني) في بيت إيليا السابق يفيد الاتخاذ والجَعْل، فالشاعر استخدمه؛ ليصور كيف أَنَّه بوصفه آدميًّا، وقع في براثن الشيطان؛ فتتلمذ على يديه، وظل في غياهب جهله حقبة من الدهر، عَلَّمَهُ الشيطان خلالها أنواع الضلال وارتكاب الفواحش، وذَمَّ إليه الرق والعبودية لله، ثم جعله عبدًا لنفسه والهَوَى.

ويتضح مِمَّا سبق أنَّ استعمال إيليا لصيغة (اِسْتَفْعَلَ)؛ للدلالة على الاتخاذ والجَعْل جاء مُوَافِقًا لما وَرَدَ في كُتُب اللغة؛ حيث جاءتْ كل الأفعال المستخدمة في هذه الدلالة متعديَّة، نحو: (اِسْتَوْزَرَهُ)، أي: جعله وزيرًا، و(اِسْتَوْطَنَتِ الكُوخَ)، أي: اِتَّخَذْتُهُ وطنًا، و(اِسْتَعْبَدتْنِي)، أي: اِتَّخَذَتْنِي عبدًا لها، و(اِسْتَرَقَّنِي)، أي : استعبدني، وقد استطاع إيليا أنْ يوّظفها توظيفا جيدًا بما يتناسب والسياق الشعري الذي وَرَدَتْ فيه .

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة (رق ق)، ص٩٢٨.

المطلب الرابع

دلالة (اِسْتَفْعَلَ) على الإصابة على صفة أصله في شعر إيليا

وردت صيغة (اِسْتَفْعَلَ) دالة على معنى الإصابة أو الوجدان على صفةٍ معينةٍ في اثنى وعشرين موضعًا، ضمت ثلاثة عشر فعلاً.

ومن الأفعال التي أدت هذا المعنى في الأعمال الشِّعريَّة الكاملة **قول إيليا** : (الرَّمَل)

وَاِعْدِلُوا عَنْ لَومِ مَنْ لَو مَزَجَتْ ** مَا بِهَا بِالمَاءِ لَمْ يُسْتَعْذِبِ[١]

فبناء (اِسْتَفْعَلَ) في هذا البيت(يُستعذب) يدل على الإصابة على صفة أصله؛ فهذا الكلام جاء على لسان فتاة أرغمها ذووها على الزواج من رجل طاعن في السن، تشتكي للناس همها، راجية منهم أَنْ يكفوا عن لومها؛ لأنها لو مَزَجَتْ مَا بِهَا من هموم وآلام بماء النهر لم نجده عذبًا سائغًا كما كان من قبل.

ومعنى الإصابة على صفةٍ معينةٍ يتناسب وغرض الشاعر من هذه القصيدة؛ حيث صَوَّرَ بلسان الفتاة عجزَها عن الرضا بِمَا كُتِبَ لها، وتطلعَهَا إلى الحياة التي ترى نفسها أَهْلًا لها، حَتَّى كأَنَّه يحكي حكاية فُرْقته عن أهله، وما كان يتطلع إليه، ويَرَى نفسه قادرًا على تحقيقه، بموهبته التي أصبح يسعى أَنْ يَلْفِتَ إليها الناس[٢] .

ولا نكاد نجد اختلافًا في الاستعمال اللغوي للفعل (استعذب) عَمَّا جاء في بيت إيليا، يقول ابن منظور: « اِسْتَعْذَبه : عَدّه عذبًا» [٣]، وجاء في (المعجم الوسيط):« اِسْتَعْذَبَ الطعامَ أو الشرابَ: وَجَدَه عَذْبًا سائِغًا».[٤]

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان تذكار الماضي، شكوى فتاة، ص٩٢.

(٢) المصدر السابق : ص ١٣ .

(٣) لسان العرب: مادة (عذب) ، ص ٢٨٥٢ .

(٤) المعجم الوسيط : مادة(عذب) ، ص ٥٨٩.

وقال د. أحمد مختار عمر: «استعذبَ، يستعذب، استعذابًا، فهو مُستعذِب، والمفعول: مُستعذَب. واستعذب الماءَ ونحوه: وجده سائغًا للشُّرْبِ، حَسَن الطعم... استعذب الطعامَ، استعذب الموتَ في سبيل الله».(١)

ومن ذلك قول إيليا: (الرمل)

يَا لَهَا مِنْ سَاعَةٍ لَو أَنَّهَا ** بَقِيَتْ كَالدَّهْرِ لَمْ تُسْتَقْبَحِ (٢)

فالفعل (تُسْتَقْبَح) في هذا البيت يدل على معنى الإصابة، أو الوجدان على صفة ما؛ حيث يَرَى الفتى المُحبُّ أَنَّ وقتَ لقائه بمحبوبته من أجمل الأوقات لديه؛ حَتَّى وإن طال دهرًا؛ فَلَنْ يجده قبيحًا أبدًا، ولَنْ يسأم منه مهما طال . وهذا المعنى يتناسب ومضمون تلك القصيدة؛ التي تحكي قصة فتى اِدَّعَى المرض، واِدَّعَتْ محبوبته أنها الطبيب، فقامت بزيارته .

وقد جاء في (المعجم الوسيط): « اسْتَقْبَحَهُ: عَدَّهُ قبيحًا».(٣)

ولم يخرج الفعل (اِسْتَقْبَحَ) عن هذا المعنى في بقية المواضع التي ورد فيها في شعر إيليا.

ومن ذلك أيضًا قول إيليا:(الرمل)

لَمْ يَقِسْ شَعْبٌ إِلَى أَمْجَادِهَا ** مَجْدَهُ البَاذِخَ إِلَّا اسْتَصْغَرَهْ(٤)

فبناء (اِسْتَفْعَلَ) :(اِسْتَصْغَرَه) هنا يفيد معنى الإصابة على صفة أصله؛ فأي شعب يَقِيسُ مجدَه بمجد تلك الأمة التي تنعم بالرخاء والحرية في كنف ملك عادل؛ فإنَّه حتمًا سيجد مجده صغيرًا أمام مجدها.

يقول ناظر الجيش(ت٧٧٨هـ): « والذي لإلفَاء الشيء بمعنى ما صيغ

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة: مادة (ع ذ ب)، ص١٤٧٣.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان تذكار الماضي، طبيبي الخاص ، ص١٦٤.

(٣) المعجم الوسيط : مادة (قبح) ص ٧١٠ .

(٤) الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان إيليا أبو ماضي ؛الجزء الثاني ، الشاعر والأمة، ص٧٢٠.

منـه: كـ(استعظمته) إذا وجدتُـهُ عظيمًـا، و(اسْتَصْـغرتُهُ) إذا وجدتُـهُ صـغيرًا، و(اسْتَكثرتُهُ) إذا وجدتُهُ كثيرًا... و(استحسنْتُهُ) إذا وجدتُهُ حَسَنًا».[١]

وفـي (اللسـان): « واستصـغره: عَدَّه صـغيرًا، وصَـغَّرَهُ وأصْـغَرَه: جَعَلَـهُ صغيرًا ».[٢]

ومن الأفعال التي أدت معنى الإصابة على صفة ما صِيغَ منه في شعر إيليا، الفعل (تَسْتَخِفّ)، وقد استعمله إيليا ثلاث مرات بصيغة المضارع، كلها تُحْمَلُ على معنى الوجدان، **ومنها قوله:** (الوافر)

وَلَيسَتْ تَسْتَخِفُّ أخَا وَقَارٍ ** وَبِنْتُ الدَّنِّ بِالأَحْلامِ تُزْرِى[٣]

فالزيـادة فـي الفعـل (تسـتخفّ) تفيـد الإصـابة أو الوجـدان علـى صـفة معينة؛ فمع شرب القهوة لا تجد صاحب الوقار خفيفًا؛ حيث يظل على وقاره، بخلاف الخمر التي تذهب بالعقول، وتؤدي إلى خِفَّة في النفوس.

« واسْـتَخَفَّهُ : ضـد اسْـتثقله، أي رآه خفيفًـا، ومنـه قولـه تعـالى: (...**تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ**...) [النحل، ٨٠]، أي: يَخِفُّ عليكُم حَمْلُها».[٤]

وذُكِرَ فـي (المعجم الوسيط) مِنْ معانيها: « استخفّهُ : طلب خِفَته، ورآه خفيفًا».[٥]

وقد فسر ابن عاشور (ت١٩٧٣م) الفعل (تستخفونها) بقولـه:«السين والتاء في (تستخفونها) للوجدان، أي تجدونها خفيفة، أي خفيفة المحمل حين ترحلون».[٦]

---

(١) شرح التسهيل المسمى تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، ٣٧٦٤/٨.
(٢) لسان العرب: مادة (صغر)، ص٢٤٥٣.
(٣) الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان تبر وتراب، بنت القفر، ص٩٤٩.
(٤) الزَّبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : د.عبد الفتاح الحلو ، مراجعة ، مصطفى حجازي ، سلسلة التراث العربي ، الكويت ، مادة (خفف) ٢٣٨/٢٣ .
(٥) المعجم الوسيط، مادة (خفّ) ، ص٢٤٧.
(٦) تفسير التحرير والتنوير : ٢٣٨/١٤.

ومن ذلك الفعل (اِسْتَنْكَرَ) في **قول إيليا** : (الرَّمَل)

يَعْشَقُ الأَمْرَ الذِي تَعْشَقُهُ ** فَإِذَا مَا اسْتَنْكَرَتْهُ اسْتَنْكَرَهْ[١]

جاء في (المعجم الوسيط): «اِسْتَنْكَرَ الأمرَ: استقبحه»[٢]، و«استقبحتُهُ: إذا وجدته قبيحًا».[٣]

وهكذا يمكن جعل الفعل (اِسْتَنْكَرَ) بمعنى عَدَّه قبيحًا، أو وجده مُنْكَرًا.

وإيليا في بيته السابق كَرَرَ بناء (اِسْتَفْعَلَ) مرتين؛ ليدل على الوجدان على صفة أصله، فهذا الملك العادل صاحب الفطنة الذي يحب شعبه ويتفانى في خدمته، يعشق الأمر الذي تعشقه أمته، أما الأمر الذي تستنكره، وتَعُدَّه قبيحًا؛ فيراه هو أيضًا قبيحًا.

ومنه كذلك الفعل (استجهل) كما في **قول إيليا** : (مجزوء الرجز)

إِلامَ يَسْتَجْهِلُكُمْ ** أَجْهَلُ مِنْ (هَبَنَّقَهْ)؟[٤]

ف(استجهل): بمعنى عَدَّهُ جاهلاً، ووجدَه جاهلاً، وحَمَله على الجهل.[٥]

وقد استخدم إيليا بناء (اِسْتَفْعَلَ) بصيغة المضارع (يستجهل)؛ لإفادة معنى الوجدان أو الإصابة؛ فيسأل مستنكرًا كيف لهذا الأحمق الذي يُضْرَبُ به المَثَلُ في الحماقة أن يجدكم جهلاء.

وبهذا يتبيَّن أنَّ دلالة الإصابة والوجدان على صفة معينة كانت

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة ديوان إيليا أبو ماضي ؛الجزء الثاني ، الشاعر والأمة، ص٢٧١.

(٢) المعجم الوسيط، ، مادة (نكر)، ص ٩٥٢.

(٣) ناظر الجيش: شرح التسهيل المسمى تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، ٣٧٦٤/٨.

(٤) الأعمال الشعرية الكاملة: ما لم تجمعه الدواوين، اليهودي التائه، ص١٠١٨، وهَبَنَّقَهْ: رجل اسمه يزيد بن ثروان القيسي، وكانت العرب تقول: أحمق من هَبَنَّقَهْ ، فقد عُرف بحُمْقِه، وضُرِبَ به المثل في الحماقة والغباء، ينظر: الميداني، مجمع الأمثال: ٢٧١/١.

(٥) المعجم الوسيط : مادة (جهل) ، ص ١٤٤ .

حاضرةً في الأعمال الشِّعريَّة الكاملة بشكل واضح؛ إذ بلغ عدد أفعالها ثلاثة عشر فعلًا – كلها أفعال متعدية–، تكرر بعضها فوصل عددها إلى اثنى وعشرين فعلًا، وقد وظَّفها إيليا في شعره توظيفًا جيدا، بما يتناسب وأغراض قصائده . هذا فضلًا عن أنَّ استخدامه لهذه الدلالة جاء مُوافِقًا لما ذَكَرَهُ اللغويون في كُتُبهم .

المطلب الخامس

دلالة (اِسْتَفْعَلَ) على مُطَاوَعَة (أَفْعَلَ) في شعر إيليا

ورد بناء (اِسْتَفْعَلَ) دالاً على مطاوعة (أَفْعَلَ) في أربعة وعشرين موضعًا، استخدم إيليا خلالها سبعة أفعال، ومنها: الفعل (اِسْتَحْكَمَ) **كما في قوله:** (الرمل)

قُلْتُ: دَاءٌ فِي الفُؤَادِ اِسْتَحْكَمَا ** كَادَ قَلْبِي مِنْهُ أَنْ يَنْفَطِرَا[(١)]

فمن استعمال (اِسْتَفْعَلَ) لمطاوعة أَفْعَلَ: أَحْكَمَه، فاستحْكَمَ، وأراحه فاستراح. [(٢)]

وجاء في (لسان العرب): « (استحكم الرجلُ): إذا تناهى عَمَّا يضره في دينه أو دُنْيَاه... و(أَحْكَمْتُ الشيءَ فاستحكم): صار مُحْكمًا». [(٣)]

وفي بيت إيليا السابق- كَمَا يشير السياق- جاء الفعل (استحكم) مُطَاوِعًا لأحكم؛ فالحب الموجود في قلب الفتى أحكمه فاستحكم، أي أنَّ القلب قَبِلَ الأثر؛ فكأنَّه طاوعه وتأثر بحكمه، ولم يمتنع؛ فحصول التأثر بالقلب وقبوله هو المقصود بالمطاوعة.

ودلالة المطاوعة تتناسب وغرض الغزل في هذه القصيدة .

ومن ذلك الفعل (استفاد) كما في **قول إيليا** :(الكامل)

وصَحِبْتُهُنَّ فَمَا اِسْتَفَدْتُ سِوَى الأَسَى ** مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الغَوَانِي يُتْعِب[(٤)]

فالفعل (استفاد) يعني أَخْذَ الفائدة وامتلاكها واكتسابها؛ فهو مطاوع لأَفْعَل (أفاد)؛ الذي يدل على إعطاء الفائدة لإنسان ما أو غيره؛ فيقال: أفدته

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان تذكار الماضي، طبيبي الخاص، ص١٦٣.

(٢) ينظر: ابن مالك: شرح التسهيل ٤٥٨/٣، السيوطي: همع الهوامع، ٢٦٩/٣.

(٣) لسان العرب: مادة (حكم)، ص ٩٥٣.

(٤) الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان تذكار الماضي، الحُسْن لا يُشْري ولا يُسْتَجلَب، ص١٧٠.

فاستفاد، أي: تأثر بالفائدة وقَبِلَها.

وهذا المعنى صَرَّحَ به علماء اللغة، كقول الكسائي(ت١٨٩هـ):« (أفدتُ المالَ)، أي: أعطيتُه غيري، و(أَفَدْتُهُ) : اسْتَفَدْتُهُ ».(١)

وجاء في (المعجم الوسيط): « (استفادَ المالَ وغيرَهُ): أي حَصَّلَه واقْتَنَاه».(٢)

وقال الجوهري(ت ٣٩٣ هـ):« والفائدةُ ما استفدْتَ من علمٍ أو مَالٍ، تقول منه : فَادَتْ له فائدة». (٣)

وكذلك في شرح المقصود من الاستفادة، قال ابن منظور: « وفي حديث ابن عباس في الرجل يستفيد المال بطريق الربح أو غيره، قال: يُزَكِّيهِ يومَ يستفيدُهُ أي يومَ يمْلكُهُ».(٤)

ولا يكاد يختلف استعمال إيليا لبناء (اِسْتَفْعَلَ):(استفاد) في بيته السابق، عَمَّا ورد في معاجم اللغة؛ فقد ورد الفعل (استفاد) في بيت إيليا مرتين، ودلَّ فيهما على مطاوعة (أفاد)؛ فصحبة الشاعر للغانيات لم تُفِدْهُ غير الأسى والحزن؛ فاستفاد، أي: تأثر بما أعطته له مصاحبة الغانيات، وقَبِلَهُ، ولا شك في أنَّ كل مَا يُسْتَفَاد من المليحات متعب ومرهق؛ فإنَّ نظراتِهن تُحْدثْنَ وقْعًا أليمًا في قلب الشاعر، وكأنَّها سهام، فضلًا عن اتصافهن بالكذب والمراوغة.

ومن ذلك أيضًا الفعل (استبشر)؛ فقد استخدمه إيليا في الأعمال الكاملة ثلاث مرات، في جميعها أفاد دلالة المطاوعة لأفعل، **يقول إيليا:**

---

(١) الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق: يعقوب عبد النبي، محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٤/١٩٦-١٩٧.

(٢) المعجم الوسيط :مادة (فاد) ، ص ٧٠٥ .

(٣) الجوهري : الصِّحَاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق ، أحمد عبد الغفور عطّار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٤م ، ٢/٥٢١ .

(٤) لسان العرب، مادة (فيد)، ص٣٤٩٨.

(السريع)

لَمَّا وَعَى اللهُ شَكَايَا الوَرَى ** قَالَ لَهُمْ: كُونُوا كَمَا تَشْتَهُونْ

فَاسْتَبْشَرَ الشَّيخُ وَسُرَّ الفَتَى ** وَالكَاعِبُ الحَسْنَاءُ والحَيْزَبُونْ[1]

قال ابن فارس: « الباء والشين والراء أصل واحد: ظهور الشيء مع حُسْن وجمال».[2]

وجاء في (لسان العرب): « يُقال: بَشَرْتُهُ فَأَبْشَرَ واسْتَبْشَر وتَبَشَّرَ وبَشِرَ: فَرِحَ ».[3]

وجاء الفعل (استبشر) في بيت إيليا السابق مطاوعًا للفعل (أَبْشَر) بمعنى البِشَارَة؛ فهذا الشيخ الطاعن في السن عندما تَقَدَّمَ بشكواه إلى خالقه، وسأله أَنْ يأخذ كل حكمته ويرد عليه شبابه من جديد؛ فأبشره الله بأنَّ له ما يريد؛ فاستبشر الشيخ بما سَمِعَه، أي حصلت له البشرى بإبشار الله له؛ ففرح وأخذ يُبَّشر نفسه بعودة الشباب، وما يحمله من آمال تَقَرُّ بها العين، وتجعل الحياة مشرقة.

فإذا كان كلٌّ مِنْ (البِشْر) و(البِشَارة) تدل على الفرح والسرور؛ فإن الاستبشار هو أثر البشرى في نفس الإنسان؛ فيبدو ذلك على وجه صاحبه، وبهذا تكون الزيادة في (اِسْتَفْعَلَ) للمطاوعة.

وقد نص أبو حيان على أَنَّ (استبشر) مطاوعٌ للفعل (أبشر) في قوله تعالى: **(وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ)** [آل عمران: ١٧٠].

قال: « بل يجوز أن يكون مطاوعًا لأفعل، وهو الأظهر، أي: أبشره الله فاستبشر، كقوله: أَكَانَهُ فاِسْتَكَانَ، وأشلاه فَاِسْتَشْلَى، وأراحه فاستراح، وأحكمه فاستحكم... وإنما كان هذا الأظهر هنا لأنه من حيث المطاوعة يكون

(١) الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان الخمائل، الأسطورة الأزلية، ص٨٤٢.
(٢) معجم مقاييس اللغة : مادة (بشر) ، ٢٥١/١.
(٣) لسان العرب: مادة (بشر)، ص٢٨٧.

منفعلاً عن غيره، فحصلت له البُشْرَى بإبشار الله له بذلك».[١]

ومن ذلك الفعل (اِسْتَيْقَظ) فالزيادة فيه تدل على مطاوعة (أفعل)، أي: أيقظته فاستيقظ، **يقول إيليا**:(الكامل)

قَدْ حَانَ أَنْ تَسْتَيْقِظُوا فَاِسْتَيْقِظُوا ** كَمْ تَخْجَلُونَ وَكُلُّهُمْ لَا يَخْجَلُ[٢]

وَجَاءَ في (لسان العرب): « (اليقظة والاسْتيقاظ)، وهو الانتباه من النوم ... و(أَيْقَظْتُهُ من نومه) أي: نبّهته فَتَيَقَّظ ».[٣]

وقال الجوهري: « وأيْقظْتُهُ من نومِهِ، أي نبَّهته فَتَيَقَّظَ واسْتَيْقَظ، فهو يَقْظَانُ، والاسمُ اليقظة».[٤]

وكذلك الأمر في بيت إيليا السابق جاء الفعل (استيقظ) مطاوعًا لـ(أيقظ)؛ حيث خاطب الشاعر شعبه– شعب لبنان– قائلاً: إنَّه إنْ آنَ الأوان أَنْ تَنْتَبِهُوا مِنْ غفلتكم، فلا بُدَّ مِنْ أن تَنْتبِهُوا؛ لكي تقفوا في وجه هذه الحروب، وتحموا أنفسكم مِمَّا تخلفه من دمار وهموم، دون أَنْ تخجلوا فهذا حقكم، ألا ترون أَنَّ طالبَ المعونةِ والمساعدةِ لا يخجلُ.

دل سياق الكلام على معنى المطاوعة، فظروف لبنان وما حَلَّ به من شرور الحرب، أيقظ الشعب من غفوته، فاستيقظ؛ فالاستيقاظ وَقَع بتأثير شيء آخر، وهو ما شاهدوه في لبنان، عندما لَحِقَ بأهلها ويلات الحروب.

ويبدو مِمَّا سبق أنَّ استعمال إيليا لبناء (اِسْتَفْعَلَ)؛ للدلالة على مطاوعة أَفْعَل جاء مُوَافِقًا لِما ذَكَرَهُ النحاة، وخاصة ابن مالك . كما نجده يستعمِلُ أفعالًا تَرَدَدَ ذكرُها في كتب اللغويين والمفسريين، نَحْوُ : اِسْتَحْكَمَ، واِسْتَبْشَرَ .

---

(١) تفسير البحر المحيط: ١١٩/٣.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة، لمن الديار، ديوان إيليا أبو ماضي الجزء الثاني ، ص٤٦١.

(٣) لسان العرب، مادة (يقظ)، ص٤٩٦٤.

(٤) الجوهري: الصِّحاح ؛تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (يقظ) ١١٨١/٣.

المطلب السادس

مجيء (اِسْتَفْعَلَ) للإغناء عن المجرد في شعر إيليا

الإغناء عن المجرد يعني: « أنه جاءَ (اِسْتَفْعَلَ) أيضًا مُغْنِيًا عن ثلاثي مجرد من الزوائد، نحو: استأثر بالشيء، أي: استبَدّ به، وهو: (اِسْتَفْعَلَ) من الأَثَرة، وكذا استبّد بالشيء، أي: تفرَّد به... فإنه مُغنٍ أيضًا عن المجرد».(١)

أي أن صيغة (اِسْتَفْعَلَ) تقوم بالإغناء عن الفعل المجرد، إذا لم يكن لها فعل مجرد يشاركها في معناها الأصلي.

وقد وردت هذه الصيغة في شعر إيليا في عشرين موضعًا، ضمت أربعة أفعال، وهي: اِسْتَبَدَ، اِسْتَنْكَفَ، اِسْتَحْيَا، اِسْتَطَاعَ.

والغالب في استعمال هذه الأفعال أنها تأتي زائدة، وليست مجردة؛ فالمعنى الذي تفيده ليس معنى موافقًا للمجرد؛ لأنَّ المجرد منها مهملٌ استغناءً بها عنه، بل معنى هذه الأفعال خاص بالصيغة نفسها.

ومن ذلك قول إيليا :(الخفيف)

وَتَجَنَّى مَا شَاءَ أَنْ يَتَجَنَّى ** وَاسْتَبَدَّتْ صُرُوفُهُ اِسْتِبْدَادَا(٢)

وجاء في (المعجم الوسيط): « اسْتَبَدَّ به: انفرد به، وذهب. واستبد الأمر بفلان: غلبه فلم يَقْدر على ضَبْطه، واستبد بأميره: غلب على رأيه، فهو لا يسمع إلا منه».(٣)

وقال (ابن منظور): « واسْتَبَدَّ فلان بكذا ،أي: انفَردَ به ... يقال: اسْتبد بالأمر يَسْتَبِد به استبدادًا: إذا انفرد به دون غيره. واسْتَبَدَّ برأيه: انْفَرَد

(١) السَّجَلماسي: مفتاح الأقفال ومزيل الإشكال عما تضمنه مُبَلْغَ الآمال من تصريف الأفعال، تحقيق: محمد الناصري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م، ص٣٩٨.
(٢) الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان إيليا أبو ماضي، مصرع القمر، ص٥٠٨.
(٣) المعجم الوسيط: مادة (بدد)، ص٤٢.

به». [١]

وقد مَثَّلَ التلمساني(ت٨٧١هـ) للإغناء عن المجرد بالأفعال: اِسْتَبَدَّ، اِسْتَعَدَّ، واِسْتَأْثَرَ.[٢]

وفي بيت إيليا السابق أغنى بناء (اِسْتَفْعَلَ) :(اِسْتَبَدَّ) عن المجرد، ودل على معنى القوة والتكَلُّف؛ حيث إنَّ نوائب الزمان ومصائبه قد انفردت بالشاعر، وغلبتْ عليه، فلم يَعُد قادرًا على تحملها. ومِمَّا يُدعِّم معنى القوة في هذا السياق، مجيء المفعول المطلق المؤكد لعامله(اِسْتِبْدَادًا)؛ لتأكيد معنى القوة والشدة، هذا فضلاً عن أنَّ مضمون القصيدة يدل على هذه المعاني؛ فالقصيدة قالها إيليا في رثاء أخيه ديميتري، الذي مات ولم يتجاوز العشرين من عمره، معبرًا عن مدى حزنه وأساه.

ومن الأفعال التي جاءت للإغناء عن المجرد الفعل (اِسْتَنْكَفَ)، وقد استعمله إيليا في موضع واحد في قوله :(الكامل)

فَاسْتَنْكَفَتْ أَنْ تَسْتَمِرَّ حَيَاتُهَا ** فِي الأَرْضِ جَاثِمَةً عَلَى الأَقْذَاءِ[٣]

و«استنكف من الشيء،وعنه: أَنِفَ وامتنع، ويقال: استنكف عن العمل: امتنع مستكبرًا».[٤]

فبناء (اِسْتَفْعَلَ) : (استنكف) أغنى عن المجرد (نَكِفَ) في الدلالة على المعنى المراد، وهو المبالغة في الامتناع مع الاستكبار؛ فالشاعر يتحدث عن هذه الجرادة التي رآها في منامه، وقد بدا عليها آثار التعب والإعياء، وأنها قد رفضت وامتنعت في أَنَفَةٍ أن تعيش على هذه الأرض، تحوم وتهبط على

(١) لسان العرب: مادة (بدد)، ص٢٢٧.

(٢) التلمساني: تحقيق المقال وتسهيل المنال في شرح لامية الأفعال، تحقيق: د. محمد الناصيري، سلسلة الرسائل والدراسات الجامعية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٧م، ص٢٤٨.

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة ، ديوان تبر وديوان، رؤيا ثانية، ص٨٨٩.

(٤) المعجم الوسيط، مادة (نكف)، ص٩٥٣.

الأوساخ، كما كانت من قبل، وقررت أن تطير نحو جنة الخلد التي في السماء؛ فأخذت تحلق عاليًا إلى أن خارت قواها، وتعبت وسقطتْ على الأرض.

ويجعل الشاعر قصة هذه الجرادة عبرة لأولئك الحَمْقَى، الذين يطلبون ما ليس لهم، ويستكبرون عن سماع النصيحة من غيرهم؛ فيخسرون ما لديهم من نِعَم كثيرة؛ بسبب استكبارهم وعنادهم.

و مِمَّا يؤكد معنى المبالغة في الامتناع، ما ذهب إليه ابن عطية من أن الاستنكاف مِمَّا يوصف به الكفار، يقول أبو حَيَّان الأندلسي في قوله تعالى: **(وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)** [النساء، ١٧٣]: « هذا وعيد شديد للذين يتركون عبادة الله أَنَفة تكبُّرًا. وقال ابن عطية: وهذا الاستنكاف إنما يكون من الكفار عن اتباع الأنبياء، وما جرى مجراهُ ».[١]

ومن الإغناء عن المجرد كذلك الفعل (استحيا)، **يقول إيليا:** (المتقارب)

وَيَا فُقَرَاءُ لِمَاذَا التَّشَكِّي؟ ** أَلَا تَسْتَحُونَ؟ أَلَا تَخْجَلُونْ؟[٢]

وفي اللغة « استحيا فُلانٌ فلانًا، استحيا فلانٌ من فلانٍ : استحاه؛ خجل منه».[٣]

والشاعر استعمل بناء (إسْتَفْعَلَ) بصيغة المضارع (تستحون)؛ للإغناء عن الثلاثي المجرد، في سياق الدعوة لمساعدة الفقراء الذين تَخَلَّى عنهم الحظ، وتعرضوا للظلم الاجتماعي؛ فيناديهم مشجعًا وناصحًا لهم أَنْ يرضوا بما قسمته الأيام، وأن يتركوا الشكوى، بل يجب أن يستحوا مِنْ أنفسهم، ويمتنعوا عن فعل أي شيء يخجلون منه، وأنْ يَدَعُوا الأغنياء مع لذَّاتهم، فهم مثلها

(١) تفسير البحر المحيط: ٣/٤٢٠.
(٢) الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان الجداول، كلوا واشربوا، ص٧٦٠.
(٣) د. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ص٥٩٨.

زائلون.

ونَصَّ أبو حيان على مجيء (استحيا) للإغناء عن المجرد، فقال في تفسير قوله تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)** [البقرة، ٢٦] ،و(اِسْتَفْعَلَ) هنا جاء للإغناء عن الثلاثي المجرد، كاستنكف، واستأثر، واستبد، واستعبر، وهو من المعاني التي جاء لها (اِسْتَفْعَلَ) ». [١]

في حين ذهب الزمخشري إلى أن الفعل (استحيا) ليس للإغناء عن المجرد، بل هو موافق للمجرد، يقول: « واشتقاقه من الحياة، يقال حَيِيَ الرجلَ، كما يقال: نَسِيَ، وخَشِيَ، وشَظِيَ الفرس، إذا اعتلت هذه الأعضاء ». [٢]

غير أن سياق القصيدة يدل على أن الفعل (تستحون) بمعنى تخجلون؛ فقد جاء للإغناء عن المجرد.

مِمَّا تقدَّم يتبيَّن أنَّ دلالة (اِسْتَفْعَلَ) على الإغناء عن المجرد (فَعَلَ) ليس معناه موافقة (اِسْتَفْعَلَ) للمجرد (فَعَلَ) في المعنى؛ وذلك لأنَّ تلك الأفعال ليس لها مجرد يشاركها في معناها الأصلي – حَتَّى وإنْ وُجِدَ فإنما يستعمل لمعنى آخر–، بل الغالب في استعمالها مجيئها زائدة؛ لتدل على معانٍ خاصة بها . ومِمَّا يؤكد ذلك استعمال إيليا للفعل(اِسْتَبَدَ) في الأعمال الشعريَّة الكاملة؛ ليدل على القوة والتكلُّف، والفعل (اِسْتَنْكَفَ)؛ للمبالغة في الامتناع . فهذه المعاني خاصة بالأفعال المزيدة، وقد شارك السياق الذي وَرَدَتْ فيه في تحديدها واستنباطها .

(١) تفسير البحر المحيط: ١/٢٦٤.
(٢) الكشاف : ١/٥٤.

المطلب السابع

دلالة (اِسْتَفْعَلَ) على المبالغة والقوة في شعر إيليا

جاءت صيغة (اِسْتَفْعَلَ) في شعر إيليا لتدل على معانٍ واضحة، كالطلب، والتحوُّل، والإصابة، والاتخاذ والجعل وغيرها، واتفق إيليا في استعماله لها مع ما ذَكَرَهُ اللغويون والنُّحاة، وما جاءَ في كُتُبهم.

وَوَرَدَتْ (اِسْتَفْعَلَ) أيضًا لتدل على معانٍ أخرى تحتاج إلى السياق لتحديدها واستنباطها، تلك التي أطلق النحاة عليها: موافقة (اِسْتَفْعَلَ) لأفعل، أو لافتعل في المعنى، أو مجيء (اِسْتَفْعَلَ) بمعنى الثلاثي المجرد، وقولهم هذا لا يتفق وقاعدة: الزيادة في المبني تدل على الزيادة في المعنى، فالسين والتاء الزائدتان على بنية الفعل لم تضيفا أي معنى من المعاني المطردة المعروفة؛ ولذا لا بُدَّ من إمعان النظر في السياقات التي وردت فيها هذه الصيغ؛ لاستنباط الدلالات التي أفادتها الزيادة، وما ترمي إليه. وإن كانت (اِسْتَفْعَلَ) موافقة لأفعل أو لافتعل أو للمجرد فَعَل في المعنى– كما يقول النحاة– فما فائدة هذه الزيادة في البناء؟ ولِمَ لجأ الشاعر لاستخدام الصيغة المزيدة، وترك الصيغة المجردة؟ ما دامتْ الصيغتانِ لهما المعنى نفسه، لا بُدَّ إذن من زيادة في المعنى– ولو يسيرة– أتت مع زيادة السين والتاء في هذه الصيغة.

وهذا ما أحاول الوقوف عليه من خلال مناقشة صيغة (اِسْتَفْعَلَ) في شعر إيليا، معتمدةً في ذلك على السياقات المتعددة التي وردت فيها هذه الصيغة، وأقوال العلماء من (اللغويين والمفسرين) الذين تَلَّمَسُوا الفروقَ بين صيغة (اِسْتَفْعَلَ) وغيرها من الصيغ الأخرى.

وفيما يلي أعرض لبعض الأفعال التي نص كثير من النحاة على أن صيغة (اِسْتَفْعَلَ) منها تأتي موافقة لأَفْعَل، أو لافْتَعَل، أو لفَعَلَ المجرد، وتبيَّن بالبحث أن الزيادة فيها تدل على المبالغة والقوة والتأكيد.

وقد وَرَدَتْ صيغة (اِسْتَفْعَلَ) دالة على المبالغة في الأعمال الشِّعريَّة الكاملة، في أربعة وستين موضعًا، ممثلةً في واحد وثلاثين فعلاً.

ومن هذه الأفعال:(اِسْتَسْلَمَ)، **في قول إيليا** :(السريع)

وَاسْتَسْلَمَ القَلْبُ كَمَا اسْتَسْلَمَتْ ** نَفْسُكَ لِليَأْسِ المَخُوفِ الرَّهِيبِ[١]

والإسلام والاستسلام في اللغة: الانقياد، يقال: أسلم واستسلم، أي: انقاد. [٢]

وجاء في (المعجم الوسيط): « أَسْلَمَ: انقادَ وأَخْلَصَ الدينَ لله ... (اِسْتَسْلَمَ): انقادَ». [٣]

وذهب الزمخشري إلى أن أَسْلَمَ واِسْتَسْلَمَ بمعنى واحد، فقال في تفسير قوله تعالى: **(رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ)** [البقرة، ١٢٨]: « (مسلمين لك) : مخلصين لك أوجُهَنا، من قوله: **(أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ)** [البقرة، ١١٢]، أو مستسلمين، يقال: أسلم له وسلم واستسلم: إذا خضع وأذعن، والمعنى: زدنا إخلاصًا وإذعانًا لك» . [٤]

ومعنى ذلك أن الفعل (استسلم) يوافق غيره من الصيغ المشتقة من الجذر نفسه في المعنى.

وبالرجوع إلى بيت إيليا نجده استعمل صيغة (اِسْتَفْعَلَ) مرتين: (اِسْتَسْلَمَ– اسْتَسْلَمَتْ)؛ ليدل على معنى المبالغة في الانقياد والخضوع.

وهذا المعنى يتناسب وسياق الأبيات؛ حيث تشير إلى اليأس الذي سيطر على قلب صاحبه ونفسه، عندما وَلَّى الصِّبَا، ولاحت في رأسه علامات المشيب، ذلك المشيب، الذي يُعَدُّ رمزًا للضعف والاستكانة، فهو يدفع بالإنسان إلى اليأس والشعور بالتعاسة؛ لما تفرضه هذه المرحلة من قيود على الإنسان؛

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان إيليا أبو ماضي ؛الجزء الثاني ، يا صاح!، ص٣١٢.

(٢) ينظر: لسان العرب: مادة (سلم)، ص٢٠٧٩–٢٠٨٠، الجوهري: تاج اللغة وصِحاح العربية، ص١٩٥٢.

(٣) المعجم الوسيط : مادة (سلم) ، ص ٤٤٦ .

(٤) الكشاف: ٩٤/١.

ولذا وصف الشاعر ذلك اليأس بالمخوف الرهيب.

فالفعل (استسلم) هنا أبلغ من (أسلم) في التعبير عن المعنى المراد، وكأن زيادة السين والتاء في (استسلم) زادت على معناها معنى القوة والمبالغة، تلك المبالغة في الانقياد والخضوع لليأس التي دعتْ إيليا إلى أَنْ يكون أكثر واقعية في نظرته إلى الحياة، وأن يدعو صاحبه أن يكون كذلك؛ فيصبر ويرضى دائمًا، ويترك البكاء والأسى والتأسف على ما فقد من الأشياء.

وقد ذهب ابن عاشور إلى أن (اِسْتَسْلَمَ) أبلغ من (أَسْلَمَ)، وهو يعرض لقوله تعالى: **(بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ)** [الصافات، ٢٦]؛ فقال: «(الاستسلام): الإسلام القوي، أي: إسلام النفس، وترك المُدَافَعَةُ، فهو مبالغةٌ في (أَسْلَمَ) ».[١]

وقد ورد الفعل(اِسْتَقْبَسَ) بصيغة المضارع (يَسْتَقْبِسُ) مرة واحدة في الأعمال الشِّعريَّة الكاملة لإيليا، **في قوله** : (الوافر)

وَمَنْ يَسْتَنْزِلِ الأَتْرَاكَ خَيرًا ** كَمَنْ يَسْتَقْبِسُ المَاءَ الضِّرَامَا[٢]

ولم يرد الفعل (اِسْتَقْبَسَ) في المعاجم العربية على الرغم من وروده في أشعار العرب، يقول د. خليل بنيان الحسون: « لم يرد في معجماتنا من أبنية (قبس) سوى: أقبس واقتبس، وقد وَجَدْنَا استقبس في قول الضَّحَّاك بن سُفْيَان الكِلابي (ت١١هـ)[٣] بصيغة اسم الفاعل:

فَعَادَتْ عَلَيْكَ مِنْ ثَقِيفٍ عِصَابَةٌ ** مَتَى يَأْتِهِم مُسْتَقْبِسُ الشَّرِّ يَقْبِسُ

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، ١٠٣/٢٣.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان إيليا أبو ماضي ؛الجزء الثاني ، قصيدة بلادي، ص٣٣٠.

(٣) صحابيّ ، نزَلَ بنجد ، وولاه الرسول(ص) على مَنْ أسلم هناك من قومه ، ثم اتخذه سيافًا ، وكانوا يعدونه بمائة فارس ، وله شعر ، قيل : استشهد في قتال أهل الردة من بني سليم . ينظر ترجمته في : خير الدين الزِّرِكْلي : الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١٥، ٢٠٠٢م، ٢١٤/٣.

وهو هنا بمعنى: مقتبس، مع ما تدل عليه صيغة (اِسْتَفْعَلَ) منه».[١]

وقد استعمله ابن زيدون(ت ٤٦٣هـ) أيضًا فقال :(الطويل)

كَأَنَّ الصَّبَاحَ اِسْتَقْبَسَ الشَّمْسَ نَارَهَا ** فَجَاءَ لَهُ، مِنْ مُشْتَرِيهِ، شِهَابُ[٢]

فَكَأَنَّ الصباحَ قد أخذ قَبَسًا من نار الشمس؛ فجاءت شِهَابٌ من كوكب المُشْتَرِي.

وعلى الرغم من خُلُوِّ المعاجم العربية من بناء (استقبس)، فإنَّ بعض المفسرين قد عدوه موافقًا لاقْتَعَلَ في المعنى، أي موافقًا للفعل (اقْتَبَسَ).

يقول أبو حَيَّان في تفسير قوله تعالى: **(نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ)** [الحديد، ١٣]، « أي: نَصَبَ منه حتى نستضيء به، ويقال: اقتبس الرجل، واستقبس، أخذ من نار غيره قَبَسًا»[٣]؛ فاقتبس واستقبس بمعنى واحد.

وجاء في (المحرر الوجيز): « معنى قولهم (أَخِّرُونا): أَخِّروا مشيكم لنا حَتَّى نلْحَقَ فَنَقْتَبِسْ من نوركم، (واقْتَبَسَ الرجلُ واسْتَقْبَسَ): أَخَذَ من نور غيره قَبَسًا».[٤]

وبالرجوع إلى بيت إيليا السابق نجده استخدم الفعل (يستقبس) في سياق التشبيه لمَنْ يُنْزِل الأتراك منزلة خَير– بعدما عاشوا فسادًا في أرضه– بذلك الذي يأخذ من الماء المُضْطَرم (المشتعل) قبسًا.

فالفعل (يستقبس)– هنا– ليس بمعنى (يقتبس)، كما ذهب بعض المفسرين، ولكن المراد بالزيادة في (يستقبس) الدلالة على المبالغة في معنى الفعل؛ فالشاعر يقصد المبالغة في الاقتباس والأخذ؛ حَتَّى يدلل على صعوبة

---

(١) المُستَدرَك على مُعجماتنا: دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م، ص١٨٠.

(٢) ديوان ابن زيدون، شرح: د. يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م، ص٣٨.

(٣) تفسير البحر المحيط: ٢٢٠/٨.

(٤) ابن عطية: المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ٢٦٢/٥.

الإتيان بالفعل بالرغم مِمَّا يبذله الفاعل مِنْ جهد مِنْ أجل الوصول إلى الفعل.

وهذه المبالغة تتناسب وسياق الكلام في القصيدة، فالفعل (يستقبس) يعني: الصعوبة الكبيرة، مع القيام بالمحاولات المتعددة لِأَخْذِ قَبَسٍ من الماء المضطرم؛ حَتَّى إنَّه يستحيل أنْ يتم، وهذا المعنى غير موجود في الفعل (يقتبس).

وقد وَرَدَ الفعل (اِسْتَقَرَّ) **في قول إيليا:** (الرَّجَز)

عَجِبْتُ لِلكَأْسِ التِي تَحْوِيهَا ** كَيْفَ اِسْتَقَرَّتْ وَالحَيَاةُ فِيهَا[١]

وفي اللغة: « قرَّ بالمكان قرًّا، وقرارًا، وقُرُورًا: أقام، تقول: قررت في هذا المكان طويلًا، سكن واطمأن... (واستَقَرَّ) بالمكان: تمكّنَ وسَكَنَ، والقارُّ المستقرُّ».[٢]

وذهب كثير من اللغويين إلى أنَّ (استقر) بمعنى المجرد (قَرَّ)، تقول: (استقرَّ) في مكانه، كقولك (قرَّ). [٣]

في حين ذهب الرَّضِيُّ إلى أَنَّ الزيادة في (اِسْتَفْعَلَ) تدل على المبالغة، فقال: « قوله: (اِسْتَفْعَلَ) بمعنى فَعَل، نحو: قَرَّ واِسْتَقَرَّ، ولا بُدَّ في استقرَّ مِنْ مبالغة». [٤]

والأفضل في بيت إيليا السابق أن تفيد الزيادة في (استقرّ) معنًى زائدًا على الفعل (قَرَّ)، وهو المبالغة في الاستقرار والتمكن، ولا يصح أَنْ يكون أحدهما بمعنى الآخر، خاصةً وأَنَّ الشاعر في هذا البيت يتعجب كيف لهذه

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان إيليا أبو ماضي ؛الجزء الثاني ، بنت الدوالي، ص٣٦٧.

(٢) المعجم الوسيط، مادة (قرر)، ص٧٢٤-٧٢٥.

(٣) ينظر: سيبويه :الكتاب ، ٧٠/٤، ابن قتيبة: أدب الكاتب، ص٤٦٨، الزمخشري: أساس البلاغة: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ٦٧/٢.

(٤) شرح شافية ابن الحاجب، ١١١/١.

الكأس التي تحتوي إكسيرَ الحياة أَنْ تثبت أو تستقر في مكانٍ، فالمبالغة تناسب حالة التعجب يشعر بها الشاعر.

وقد وَرَدَ الفعل (اِسْتَغْنَى) **في قول إيليا:** (الطويل)

أَكَانَ غَنِيًّا أَمْ قَوِيًّا فَإِنَّهُ بِمَالِكُمْ اِسْتَغْنَى وَقُوتِكُمُ ظَفَرْ(١)

قال أهل اللغة :« الغِنَي مقصور مكسور الأول، هو اليسار، يقال منه: غَنِيَ الرجل فهو غَنِي، وتَغَنَّى الرجل واِسْتَغْنَى بمعنى واحد ». (٢)

ويقول أبو هلال العسكري(ت٣٩٥هـ) وهو يفرق بين الغِنَي والجِدَة واليَسَار: « الغِنَى يكون بالمال وغيره من القوة والمعونة، وكل ما ينافي الحاجة، وقد غَنِيَ يَغْنَى غِنًى، واِسْتَغْنَى: طلب الغِنَى، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى اِسْتُعْمِل بمعنى غَنِيَ ».(٣)

فمن معاني (اِسْتَفْعَلَ) عند النحاة واللغويين أن تكون بمعنى الثلاثي المجرد فَعَل، كاستغنى وغَنِيَ .

ولكن القول إنَّ (اِسْتَغْنَى)- هنا- بمعنى (غَنِيَ) ليس بدقيق؛ لأَنَّ الزيادة في صيغة (اِسْتَفْعَلَ) تعطي دلالة لا توجد في (فَعَل)، وقد استعمل إيليا الفعل المزيد (استغنى)- في بيته السابق- فجاء أبلغ من المجرد (غَنِيَ)؛ وذلك لأنَّ الزيادة فيه أفادت المبالغة وتأكيد شدة الغِنَى والاكتفاء، فهذا الذي نصَّبْتُم له تمثالاً، واعترفتم له بكل فضل؛ تخليدًا لرسمه، قد اكتفى بمالكم عن غيركم . والمعنى: غَنِيَ هذا الرجل، فصار الغِنَى صفةً له.

نستنتج مِمَّا سبق أنَّ دلالة (اِسْتَفْعَلَ) على المبالغة والقوة كان حضورها ملموسًا في شعر إيليا؛ حيث وَرَدَتْ في أربعة وستين موضعًا؛ مَمَّا

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ديوان الجداول، التمثال، ص٥٩٠.

(٢) النووي: تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ٦٤/٢.

(٣) الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، ١٩٩٧م، ص١٧٥-١٧٦.

جعلها تأتي في المنزلة الثانية بعد دلالة الطلب .

جاء استعمال إيليا لهذه الأفعال مُخالِفًا لِما وُجِدَ في كُتُب اللغة والنحو، فما عَدَّهُ اللغويون والنحاة من صيغة (اِسْتَفْعَلَ) موافِقًا لصيغة (أَفْعَلَ أو اِفْتَعَلَ أو فَعَلَ المجرد)، تبيَّن باعتبار زيادة المبني في تلك الصيغة، والسياق الذي وُجِدَتْ فيه، أنها تفيد دلالات أخرى حددها السياق، نحو : المبالغة أو القوة أو التأكيد أو التكلف .

جَارَى إيليا شعراء العرب في استخدام الفعل (اِسْتَقْبَسَ)، على الرغم من عدم وُروده في المعاجم العربية، مما يدل على مطالعته للتراث الشعري العربي .

ومن مُجْمَل ما تقدَّم تَبَيَّن أَنَّ الأعمال الشِّعريَّة الكاملة ضَمَّتْ مائة وستة عشر فعلًا بوزن (اِسْتَفْعَلَ – يَسْتَفْعِلُ)، وتكرر وُرُود بعضها، فوصل عددها مع التكرار إلى مائتَيْن وتسعة وثلاثين فعلًا، تَوَزَّعَتْ على سبع دلالاتٍ صرفيةٍ، وهي على النحو الآتي :

م	الدلالة الصرفية	عدد مرات ورودها	نسبة ورودها
١	الطلب	٨٢ مرة	%٣٤.٣٠
٢	المبالغة	٦٤ مرة	%٢٦.٧٨
٣	مطاوعة أَفْعَلَ	٢٤ مرة	% ١٠.٠٤
٤	الإصابة	٢٢ مرة	% ٩.٢٠
٥	الإغناء عن المجرد	٢٠ مرة	% ٨.٣٧
٦	التَحَوُّل من حالٍ إلى حالٍ	١٩ مرة	% ٧.٩٥
٧	الاتخاذ والجَعْل	٨ مرات	% ٣.٣٦

وبهذا يتضح أَنَّ دلالة (اِسْتَفْعَلَ) على الطلب والاستدعاء كانت أكثر

الدلالات حضورًا؛ حيث وَرَدَتْ اثنتيْن وثمانين مرة، بنسبة (٣٤.٣٠%)، يليها دلالة المبالغة بنسبة (٢٦.٧٨%)، يليها الدلالة على مطاوعة أَفْعَل بنسبة (١٠.٠٤%)، يليها دلالة الإصابة على صفة أصله بنسبة (٩.٢٠ %)، يليها الإغناء عن المجرد بنسبة (٨.٣٧ %)، يليها دلالة التحوُّل بنسبة (٧.٩٥ %)، وكان أقلها حضورًا دلالة الاتخاذ والجَعْل؛ حيث وَرَدَتْ ثمانيَ مراتٍ، بنسبة (٣.٣٦ %) .

كَمَا تَبَيَّنَ أَنَّ ديوان (إيليا أبي ماضي؛ الجزء الثاني) كان أكثر الدواوين وُرُودًا؛ حيث وَرَدَ ثمانين مرة، بنسبة (٣٣.٤٧%)؛ وذلك لتنوع موضوعات هذا الديوان؛ حيث جمع فيه إيليا بين الحب، والتأمل، والفلسفة، والموضوعات الاجتماعية، والقضايا الوطنية، إلى جانب تغنيه المتكرر بالطبيعة، ذلك التنوُّع الذي جعله مجالا خِصْبًا للاستفادة من تعدد معاني (اِسْتَفْعَلَ)، واستحداث دلالات جديدة لها .

الخاتمة

بعد دراسة صيغة (اِسْتَفْعَلَ) ودلالاتها في الأعمال الشِّعريَّة الكاملة لإيليا، تَوَصَّلَ البحث إلى عدة نتائج، وهي:

١. جاء شعر إيليا أبي ماضي موافقًا لقواعد اللغة في استخدامه لبناء (اِسْتَفْعَلَ) ودلالاته.

٢. استخدم إيليا في شعره أغلب الدلالات الصرفية لصيغة (اِسْتَفْعَلَ)، التي أوردها الصرفيون في كُتُبهم، نحو: الطلب، التحول، الإصابة، الاتخاذ والجَعْل، وغيرها؛ مِمَّا يوحي بسعة الاستعمال، وتَوَسُّع الدلالات في السياق الشعري .

٣. لم يَرِدْ في الأعمال الشِّعريَّة الكاملة لإيليا دلالة (اِسْتَفْعَلَ) على الإغناء عن (فَعَّل)، التي سمَّاها المحدثون اختصار حكاية الشيء .

٤. وردت صيغة (اِسْتَفْعَلَ) الدالة على الطلب في الأعمال الشِّعريَّة الكاملة بنسبة ٣٤.٣٠%؛ فكان لها الحضور الطاغي؛ مِمَّا يؤكد موافقة إيليا للصرفيين والنحاة، وقرار مجمع اللغة العربية، في أَنَّ دلالة (اِسْتَفْعَلَ) على الطلب هي الأكثر .

٥. تَبَيَّن أنَّ دلالة (اِسْتَفْعَلَ) على الإغناء عن المجرد (فَعَلَ) ليس معناه موافقة (اِسْتَفْعَلَ) للمجرد (فَعَلَ) في المعنى؛ وذلك لأنَّ تلك الأفعال ليس لها مجرد يشاركها في معناها الأصلي – حَتَّى وإنْ وُجِدَ فإنَّمَا يستعمل لمعنى آخر–، بل الغالب في استعمالها مجيئها زائدة؛ لتدل على معانٍ خاصة بها، فقد استعمل إيليا الفعل(اِسْتَبَدَ)؛ ليدل على القوة والتكلُّف، والفعل (اِسْتَنْكَفَ)؛ للمبالغة في الامتناع .

٦. وافقت دلالات (اِسْتَفْعَلَ) المُسْتَخلَصة من الأعمال الشِّعريَّة الكاملة لإيليا ما ذَكَرَهُ الصرفيون القدماء من دلالات، ما عدا دلالة القوة والمبالغة؛ فهي من المعاني التي فرضتها السياقات المختلفة التي وردت فيها .

٧. أكد البحث أنَّ هناك فرقًا بين صيغة (اِسْتَفْعَلَ) وغيرها من الصيغ، نحو: (فَعَلَ، وأَفْعَل، وافْتَعَل)؛ فزيادة السين والتاء في تلك الصيغة أدى إلى زيادةٍ في المعنى؛ فإن لم تكن هذه الزيادة لغرضٍ واضحٍ؛ كدلالة الصيغة على: الطلب أو التحول أو الاتخاذ، أو غيرها من المعاني الواضحة؛ فإنها تكون للمبالغة، وبهذا فهو يدحض قول بعض اللغويين والصرفيين بأنَّ (اِسْتَفْعَلَ) تأتي بمعنى : أَفْعَلَ أو افْتَعَل أو الثلاثي المجرد فَعَلَ؛ فالأصل أنَّ كلَّ بناءٍ يحمل دلالات محددة .

٨. للسياقِ دَوْرٌ كبير في تحديد دلالات (اِسْتَفْعَلَ) في الأعمال الشعريَّة الكاملة لإيليا، وخاصة في المواضِع التي دلت (اِسْتَفْعَلَ) فيها على المبالغة والقوة .

٩. جَمَعَتْ لغة إيليا في الأعمال الشِّعريَّة الكاملة بين الأصالة والمُعاصَرة؛ حيث استخدم بناء (اِسْتَفْعَلَ) من (قَبَسَ) فقال :(يَسْتَقْبِسُ)؛ فَجَارَى بذلك شعراء العرب؛ مِمَّا يدل على أصالة لغته، ومعرفته بالتراث الشعري، كما استخدم الفعل (اِسْتَجْمَعَ) متعديًّا بنفسه، في حين لم تستعمله معاجم اللغة إلا لازمًا؛ فحاكى بذلك لغة المعاصرين .

١٠. تُعَدُّ الأعمال الشِّعريَّة الكاملة لإيليا مجالا ثريّا لتطبيق فكرة تعدد المعاني الصرفيّة للمبنى الواحد، حيث اشتملت على مائة وستة عشر فعلا على بناء(اِسْتَفْعَلَ – يَسْتَفْعِلُ)، تكرر ورودها في مائتين وتسعة وثلاثين موضعًا، أفادت – خلالها– جُلَّ الدلالات التي وَرَدَتْ في كُتُب النحو والصرف .

قائمة المصادر والمراجع

١. **إبراهيم الشَّمسَان** :أبنية الفعل؛ دلالاتها وعلاقاتها، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.
٢. **إيليا أبو ماضي** : إيليا أبو ماضي (الأعمال الشِّعريَّة الكاملة)، جمع الشعر وقدَّم له : د.عبد الكريم الأشتر، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ط ١، ٢٠٠٨م.
٣. **الآلوسي** : رُوحُ المَعَاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت .
٤. **أحمد الحملاوي**: شذا العَرْف في فنِّ الصرف، قدَّم له وعلق عليه، محمد بن عبد المعطي، دار الكيان للطباعة والنشر، الرياض، د.ت .
٥. **أحمد مختار عمر**: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م .
٦. **الأزهري**: تهذيب اللغة، تحقيق: يعقوب عبد النبي، محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة .
٧. **التلمساني**: تحقيق المقال وتسهيل المنال في شرح لامية الأفعال، تحقيق: د. محمد الناصيري، سلسلة الرسائل والدراسات الجامعية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٧م.
٨. **ابن جني**: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٤، ١٩٩٩م .
٩. **الجوهري** : الصِّحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت ، ط٤، ١٩٩٠م .
١٠. **أبو حَيَّان الأندلسي**: تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م .
١١. **خليل برهومي** : إيليا أبو ماضي؛ شاعر السؤال والجمال، سلسلة الأعلام

من الأدباء والشعراء ج (٢٧)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
١٢. **خليل بنيان الحسون** : المُستَدرَك على مُعجماتنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م.
١٣. **خير الدين الزِّرِكْلي** : الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.
١٤. **الرَّضِيّ**: شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م .
١٥. **الزَّبيدي**: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: د.عبد الفتاح الحلو، مراجعة، مصطفى حجازي، سلسلة التراث العربي، الكويت، ١٩٨٦م .
١٦. **الزمخشري**: أساس البلاغة: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م .
١٧. **الزمخشري** : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
١٨. **ابن زيدون** : ديوان ابن زيدون، شرح: د. يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.
١٩. **السَّجَلْماسِيّ** : مِفْتَاح الأقفالِ ومُزِيل الإشكال عَمَّا تضمنه مُبَلْغَ الآمال من تصريف الأفعال، تحقيق: محمد الناصري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م .
٢٠. **سيبويه** : الكتاب، تحقيق وشرح، عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، د.ت.
٢١. **ابن سيده**: المخصص، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
٢٢. **السيوطي**: هَمْعُ الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م .
٢٣. **الشوكاني**: فَتْحُ القديرِ الجامع بين فنَيّ الرِّوَاية والدِّرَاية من علم التفسير، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، لجنة التحقيق والبحث العلمي، دار الوفاء،

١٩٩٤م .
٢٤. **ابن عاشور** : تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
٢٥. **ابن عصفور**: الممتع في التصريف، تحقيق : د. فخر الدين قباوة،دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٧م .
٢٦. **ابن عطية** : المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م .
٢٧. **العضيمي**: القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة؛ جمعًا ودراسة إلى نهاية الدورة الحادية والستين عام ١٩٩٥م، دار التدمريّة، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠٣م .
٢٨. **عيسى الناعوري** : أدب المهجر، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٧٧م.
٢٩. **ابن فارس** : معجم مقاييس اللغة: تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، د.ت.
٣٠. **فخر الدين الرازي** : تفسير الفَخْر الرَّازي (التفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨١م.
٣١. **أبو الفدا**: الكُنَاش في فني النحو والصرف، تحقيق: د. رياض بن حسن الخوّام، المكتبة العصرية، بيروت، ط ٢٠٠٤م .
٣٢. **الفيروزآبادي**: القاموس المحيط، تحقيق: أنس محمد الشامي، وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨م .
٣٣. **ابن قتيبة**: أدب الكاتب، تحقيق، محمد الدَّالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.
٣٤. **ابن مالك**: شرح التسهيل، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.
٣٥. **محمد عبد المنعم خفاجي** : قصة الأدب المهجري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٧٣م .

٣٦. **مجمع اللغة العربية** :القرارات المجمَعيّة في الألفاظ والأساليب، أعدها وراجعها: محمد شوقي أمين، إبراهيم الترزي، المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٩م .

٣٧. **مجمع اللغة العربية**: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤م.

٣٨. **ابن منظور** : لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، د.ت .

٣٩. **مهدي المخزومي**: في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م .

٤٠. **الميداني**: مَجْمَع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٥م .

٤١. **ناظر الجيش**: شرح التسهيل المسمى تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، تحقيق: أ.د. علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م .

٤٢. **نجاة الكُوفي** : أبنية الأفعال؛ دراسة لغوية قرآنية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩ م .

٤٣. **النووي**: تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٤٤. **أبو هلال العسكري** : الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة.

٤٥. **ابن يعيش**: شرح الملوكي في التصريف، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ط١، ١٩٧٣م .